كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

نثر الحور العين في كلام سيد المرسلين والرؤى المنامية لبعض الصالحين بين نظريتي (الفن للفن) و (الفن للحياة)

" دراسة تحليلية "

إعداد

د / ماهر أحمد سيد علي سقال

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد الرابع والثلاثون – الجزء الرابع ٢٠١٥م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذى صدقنا وعده وأروثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين .

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد أفصح من نطق بلغة" الضاد " ، فهدى الله –تعالى– به البلاد والعباد ، وأزال به الشرك والفساد ، وسلم عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم التناد ، وبعد ؛؛؛

فنثر الحور العين يعدُّ خطوة جديدة نحو أدب جديد يصور لنا عالما جديدًا لم تره عيون قط ، ولم تسمع عنه آذان قط ، ولم يخطر على قلب بشر قط ؛ ألا وهو: عالم الجنة ومن فيها من الحور العين اللاتى قد عشن فى قصور الجنة يتنعمن بنعيمها ، ويتلذذن بشهواتها فى بيئة عالية لا غلَّ فيها ولا حقد ولا حسد ؛ ولا بؤس ولا شقا ، ولا لغو فيها ولا تأثيم .

وإذا كان الأدب وليد البيئة التى عاش فيها الأديب ، كما قال –تعالى–: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ...﴾[1] .

فكيف بهذا الأدب الذى ولد فى تلك البيئة الجنانية العالية بعناية ربانية غالية ؟ وكيف بألفاظه وأساليبه التى خرجت من بين أفواه الحور العين مع رقتهن وحسن جمالهن ، وكمال عقولهن ؟ .

---

(١) آية رقم ٥٨ من سورة الأعراف .

وكيف بأفكاره ومعانيه السامية التى أصابت الهدف فى الدعوة إلى الله – تعالى – بالحكمة العالية ، والموعظة الحسنة ، فصيرت السفية حليما ، وثبتت المؤمن على الحق واليقين ؛ ليزداد إيمانًا على إيمانه ؟

وكيف بصوره الأدبية الحقيقية التى فاقت حدَّ الخيال بمراحل لا نهاية لها ، فحققت إعجازًا لا مثيل له فى عالم الفن ، والجمال ، والمتعة ، والأخلاق ، فجمعت فى وقت واحد بين جمال الظاهر ، وطهارة الباطن ؛ حتى يتأصل هذا الجمال وتمتد جذوره إلى مالا نهاية فلا يفنى أبدًا – بإذن الله – ولا يموت ؟ .

والحق : إن نثر الحور العين قد فتح أمامى أبوابًا من الأسئلة لا يمكن غلقها ؛ مما أثار دهشتى وتعجبى !

وفوق كل ما سبق لم أجد أحدًا من الأدباء والنقاد القدامى ،والمحدثين قد تحدث عن نثر الحور العين ؛ مما زاد من دهشتى ، وتعجبى !!!

ومن هنا وجدت نفسى منساقًا – بفضل ربى – لأخترق هذا العالم الجديد ؛ باحثا عن كلامهن العذب الرشيق ؛ كاشفا عن حلاوة خصائصه الفنية المعجزة.

وقد بدا لى نثر الحور العين فى كتب المحدثين كاللؤلؤ والمرجان فى قاع البحار فهو – مع قلة نصوصه – كثير النفع به ويحتاج إلى عبارات كثيرة ؛ لشرح أفكاره الهادفة ، ومعانيه الغزيرة السامية ، وإشاراته الخفية اللطيفة .

والله يعلم بما تحملته من جَهْد وعناء فى البحث عن كلامهن الرقيق الذى حكاه النبى – ﷺ – على لسانهن متناثرًا فى كتب المحدثين على حسب الظروف والأحوال ، وما ذكره المحدثون مرويًا بالسند من قصصهن مع بعض زهاد السلف الصالح المشهود لهم بالصلاح فى رؤياهم المنامية التى تعد جزءًا من الوحى والنبوة كما أخبر رسول الله – ﷺ – فى حديث البخارى ومسلم،حيث قال : " الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة ". (١)

وقد سرت فى هذا البحث وفق المنهج التكاملى الذى يعتمد فى تحليله على الأخذ من المناهج الأدبية الأخرى بمقدار ما يحقق هدف موضوع البحث، ويحقق المفهوم السامى للأدب بوجه عام .

وقد التزمت فى هذا المنهج بتخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية من مصادرها المعتمدة ، وذكرت معانى المفرادات الغامضة فى هامش البحث مع ذكر ترجمة موجزة للأعلام غير المشهورة ، كما التزمت بعلامات الترقيم فى جميع صفحات البحث .

أما خطة هذا البحث ، فهى تشتمل على: مقدمة فى أوله ، وتمهيد: يبحث فى مفهوم الحور العين عند علماء اللغة ، وقد عقبت على هذا المفهوم فتوسعت فيه ، وأدليت برأيى الخاص مستندًا فيه بالأدلة القاطعة ، والبراهين الناصعة .

---

(١) الجمع بين الصحيحين البخارى ومسلم للحميدى ٢١/٣ ، تحقيق د/ على البواب ، ط الثانية ١٤٢٣هـ – دار ابن حزم – بيروت .

وتشتمل الخطة فى مضمونها الرئيس على أربعة فصول بعضها ذا مباحث متعددة كالآتى:

الفصل الأول: أهم صفات الحور العين ومقاييس الجمال النموذجية .

وقد ذكرت هذا الفصل فى المقام الأول ؛ ليسهل إدراك وتحليل الفلسفة الجمالية للحور العين ومدى تفوقها على فلسفة الجمال الفنى والخلقى المنشودتين عند أصحاب نظريتى (الفن للفن) و (الفن للحياة) ، بالإضافة إلى سهولة تحليل كلامهن الجميل الذى تحدثن فيه عن صفاتهن الجميلة التى تنبئ عن بيئتهن الرائعة البهية .

الفصل الثانى: نثر الحور العين : أهم موضوعاته ، ومعانيه الفرعية.

الفصل الثالث: أهم الخصائص الفنية لنثر الحور العين ، ويشمل مبحثين هما:

المبحث الأول: الأساليب والمعانى فى نثر الحور العين .

المبحث الثانى: العاطفة والإيقاع الموسيقى فى نثر الحور العين.

الفصل الرابع: الصورة الأدبية وفلسفة الجمال الفنى والخلقى فى ضوء نظريتى : (الفن للفن) ، (والفن للحياة) .

الخاتمة: وتأتى بعد الفصول السابقة ، وبعدها فهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

وإذا اتسع أدبنا العربى ليشمل الأخذ من كل فن بطرف ، ويشمل النثر العادى والقصص العامية الخيالية التى لا أساس لها من الواقع ، ولا أثر يذكر

فيها للمسة الفنية فمن باب أولى أن يتسع صدر أدبنا العربى ليحتضن فى قلب تخصصه نثر الحور العين الذى حكاه النبى ﷺ وبعض الصالحين من أمته على لسان الحور العين بأسلوب أدبى فنى رفيع يشتمل على معان سامية وأغراض هادفة تتفق مع المعنى الحقيقى للأدب بمفهومه العام ، كما تتفق مع الأدب الإسلامى فى برجه السامى الرفيع ، فضلًا عن دراسة الصورة الأدبية لجمال الحور العين فى ضوء نظريتى (الفن للفن) و (الفن للحياة) فهى دراسة نقدية ؛ ليصب هذا البحث فى بوتقة الأدب والنقد معًا .

وأخيرًا أحمد الله – تعالى – وأشكره على جميع نعمه الغزيرة الوافية، وأحمده – جل وعلا – حمدًا خاصًا على أن ألهمنى الخوض فى نثر الحور العين ، ويسَّر لى العثور على كلامهن المنثور والمكنوز فى كتب السنة النبوية مع اتساعها ؛ لأنطلق به نحو أدب جديد ذا خصائص فنية جديدة ، ألا وهو : أدب الحور العين الذى يمثل لونا من ألوان التجديد فى الأدب الإسلامى ، والدعوة إلى الله – تعالى – بالحكمة والموعظة الحسنة .

أسأل الله – تعالى – أن ينفعنى والمسلمين بهذا البحث فى الدنيا والآخرة وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، فإنه ولى ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمهيـد

مفهوم الحور العين

ورد ذكر الحور العين كثيرًا فى القرآن الكريم كما فى قوله – جل وعلا – ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ (١) .

وقوله – تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (٢) .

والحور فى اللغة جمع حوراء ، والحوراء فى اللغة مشتقة من حَوِرتْ العين حَوَرًا إذا اشتد بياض بياضِها وسواد سوادها (٣) .

وجميع العيون تشترك فى بياض بياضها ، أما السواد الذى يتوسط العين ، ويسمى: ولد العين ، فقد يكون أسود ، وهو الغالب ، وقد يكون ولد العين ملونًا بلون آخر غير الأسود كالأخضر والأزرق ونحو ذلك مما نرى بين أهل الدنيا ، بل إن منهم من يفضل لون العين الخضراء والزرقاء على السوداء .

وقد شاع بين العلماء وصف الحوراء بشدة بياض العين مع شدة سواد سوادها كما فى التعريف السابق ، فهل يعنى ذلك خلو الحور العين من خضراء العيون وزرقائها ؟

---

(١) آية رقم ٢٢ ، ٢٣ من سورة الواقعة .

(٢) الآيات ٧٠ : ٧٢ من سورة الرحمن .

(٣) المصباح المنير ج١ ، ص١٥٥ ، ط المكتبة العلمية – بيروت – لبنان .

أقول – والله أعلم – : إن الله – تعالى – قد وصف الجنة بقوله – جل وعلا – : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ... ﴾ (١) .

فالآية السابقة تفيد أن فى الجنة كل ما تشتهيه الأنفس ، وتتمتع الأعين بالنظر إليه ، وقد جمع الأنفس والأعين ؛ ليدل على عموم النعم ، وتنوعها فى الجنة ، فمن تمناها سوداء العيون وجدها ، ومن تمناها خضراء العيون وجدها ، وغير ذلك .

ومن هنا أرى أن تعريف الحور بأنه: " شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها " تعريف يحتاج إلى تعديل ؛ لأنه يقصر الحوراء على سوداء العيون فقط ، والأمر غير ذلك ؛ لأن الَحوَرَ فى اللغة يتعلق بالبياض الذى فى طرفى العين أو جانبيها .

يقول صاحب المصباح: " وحَّوْرتُ الثياب تحويرًا : بيَّضَتها ، واحورَّ الشئ: ابيضَّ وزنا ومعنى " (٢) .

وقياسًا على ذلك تقول: حوَّر الله العين إذا بيَّض بياضَها ، فتلألأ ولمع ، فإذا هى حوراء ، وعلى هذا المعنى فالحور يتعلق فقط بالبياض الذى فى طرفى العين .

(١) آية ٧١ من سورة الزخرف .

(٢) المصباح المنير للفيومى ١/١٥٥ ، ط المكتبة العلمية – بيروت .

ويؤكد ما أقول ما ورد من كلام العرب ما يدلُّ على ذلك ، يقول جرير [1]:

إن العيون التى فى طرفها حَوَر قَتَلْنَنا ثم لم يحيين قتلانا

فقد قصر الشاعر: " الحور " على طرفى العيون أى: البياض الذى فى جانبيها ، وشعراء العرب من أدرى الناس بدلالات ألفاظ العربية .

وإذا كان العلماء قد زادوا فى تعريف الحوراء مع شدة سواد سوادها أو (ولدها) ؛ لتزهو فتتناسق مع بياض طرفيها ، وفى حديث أم سلمة – رضى الله عنها – قالت: قلت : يا رسول الله أخبرنى عن قول الله – تعالى – : " حور عين " قال ﷺ: " حور بيض ، عين ضخام العيون " رواه الطبرانى ، والهيثمى فى المجمع [2] .

وهنا يكون النبى – ﷺ – قد فسر الحور بالبياض ؛ ليقصد به بياض طرفى العين ، أو ليدخل معه بياض الجسد .

ولم يشر النبى – ﷺ – إلى السواد الذى فى وسط العين كما أشار بعض العلماء ولا كلام بعد كلام رسول الله – ﷺ – فهو أفصح من نطق بالعربية .

(١) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ٨٩ ، تحقيق/ سمير جابر ، ط الثانية – دار الفكر – بيروت ، ديوان جرير ١٦٣/١ ، ط الثالثة – دار المعارف – القاهرة .

(٢) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ ، ط دار الحرمين ١٤١٥هـ – القاهرة ، المعجم الكبير ٣٦٧/٣ ، ط الثانية .

ويبدو أن العلماء قد زادوا فى تعريف الحوراء مع شدة سواد سوادها أو (ولدها)؛ لتزهو فتتناسق مع بياض طرفيها ، غير أنهم لم يضعوا فى الاعتبار الألوان الأخرى التى قد تتلون بها العين فتزهو بها وتتناسق أيضا مع شدة بياض طرفيها .

ومن هنا ، فالحَوَرُ فى رأيى: هو شدة بياض طرفى العين مع زهاء لون وسطها (ولدها) أيا كان لونه: أسود ، أم أخضر ، أم أزرق ، أم غير ذلك ؛ زهاءً لامعًا يتناسق مع شدة بياض طرفيها .

وإذا كان فى زماننا هذا تتلون العيون بكثير من الألوان بما يسمى بالعدسات اللاصقة ، وإن كانت لا شرعية ؛ لضررها،ولتغيير خلق الله فيها ، فليس ببعيد على الله أن يلون عيون الحور العين فى الجنة بألوان نعرفها ، أو لا نعرفها حسبما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين بطريقة شرعية ؛ لأن الخالق والمغير هو الله – تعالى – ، فيغير من خلق إلى خلق أحسن وأجمل بقدرته المطلقة .

" عِينٌ "

والعينُ فى اللغة جمع عيناء ، والمرأة العيناء : حسنة العينين واسعتهما [١] .

والحورُ العِين أخص صفات نساء أهل الجنة اللائى خلقهن الله – تعالى – على أحسن صورة ، وزوج بهنَّ شباب أهل الجنة .

وقد جرى إطلاق الحور العين على النساء فقط ، ويبدو لى أن غلمان أهل الجنة أيضًا يدخلون ضمن الحور العين ، فهم حور العيون ، واللغة تجيز ذلك ، فالحور : جمع أحور الذى مؤنثة حوراء كالعور جمع أعور الذى مؤنثه عوراء ، فهو من باب أفعل الذى مؤنثه فعلاء .

وكذا العين: جمع أعين الذى مؤنثه عيناء [٢] ، ولا عجب فى ذلك، فقد جاء تشبيه الغلمان بما يشبه به الحو العين ، حيث شبه القرآن الكريم الحور العين باللؤلؤ فى البياض واللمعان فقال – تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [٣] .

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٤٥/١ ط ، الأولى – دار صادر – بيروت .

(٢) ينظر: مختار الصحاح للرازى ، تحقيق/ محمود خاطر ٤٦٧/١ ، ط ١٤١٥هـ ، مكتبة لبنان – بيروت .

(٣) آية ٢٢ ، ٢٣ من سورة الواقعة .

وقد جاء هذا التشبيه أيضًا فى وصف الغلمان فى قوله – تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ (١) .

وإنما شاع إطلاق الحور العين على النساء فقط دون الرجال ؛ لأن الجمال فيهن أوقع ، وهن أشد اهتمامًا به من الرجال والله أعلى وأعلم .

(١) آية ١٩ من سورة الإنسان .

الفصل الأول

أهم صفات الحور العين ومقاييس الجمال النموذجية

تدور صفات الحور العين حول الجمال الذى يُعَدُّ نموذجًا متكاملًا للجمال بشتى أنواعه الجسدية ، والروحية ، والنفسية ، والجنسية ، وغير ذلك ، ولا عجب ، فهم زينة الجنة التى أعدها الله –تعالى– ؛ ثوابًا للطائعين من عباده المؤمنين ، وقد تولى الله – تعالى – خلقهن فى أحسن صورة ، وأروع تقويم .

ولا نكاح للحور العين فى الجنة إلا بزواج ، وإذا كانت النفس تقر الزواج فى الدنيا ، وتفرح به ، وتصفق له ، فكيف تنكره فى الآخرة ؟

وهذا يرد على من ينكر على المسلمين قولهم بوجود الحور العين فى الجنة ، وأنها ليست دارًا للشهوة .

أقول: إن الجنة دار للثواب ، والتمتع بالحور العين نوع من أنواع هذا الثواب الذى لا غبار عليه – ولاسيما – إذا علمنا أنه بزواج طاهر قال – تعالى – : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (١) .

وقد تعددت ملامح الجمال الكامل فى نشأة وخلق الحور العين ، وقد جاء فى القرآن والسنة وصف هذه الملامح الجمالية الكاملة أثناء الحديث عن الحور العين كما يلى:

---

(١) آية ٥٤ من سورة الدخان .

أولًا: جمال النشأة أو الخلق

تحدث القرآن الكريم عن نشأة الحور العين فى قوله – تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء ﴾ (١) .

يقول العلامة الطبرى فى تفسير هذه الآية: إنا خلقناهن خلقا ، فأوجدناهن يعنى بذلك الحور العين (٢) .

والظاهر أن الإنشاء هو: الاختراع الذى لم يسبق بخلق ، ويكون ذلك مخصوصًا بالحور اللاتى لسن من نسل آدم ، ويحتمل أن يريد إنشاء الإعادة ، فيكون ذلك لبنات آدم (٣) .

ولا مانع من الجمع بين الرأيين ، فيكون المراد خلق الحور العين وإبداعهن مع إعادة خلق بنات آدم خلقا جديدًا بصفات جديدة غير التى كنَّ عليها فى عالم الدنيا .

وقد عبر بضمير العظمة فى قوله – تعالى – ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ ... ﴾ ؛ وذلك للدلالة على عناية الله – تعالى – فى خلقهن ، وتجميلهن ، وقد أكد ذلك بالمفعول المطلق فى قوله – تعالى: ﴿ إنشاءً ﴾ ، وهو مأخوذ من نفس الفعل أنشأ .

---

(١) آية ٣٥ من سورة الواقعة .

(٢) تفسير الطبرى ، تحقيق/ أحمد محمد شاكر ج١١٨/٢٣ ، ط الأولى ١٤٢٠هـ ، مؤسسة الرسالة .

(٣) تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ٢٠٧/٨ ، ط الأولى ، ط ١٤١٢هـ – بيروت – لبنان .

وتكرار الفعل بأخذ المفعول المطلق منه يدل على إتقان الفعل ، وقوته والاهتمام به ، تقول: ضربت التلميذ ضربًا أى: ضربًا شديدًا غير عادى ، وكذا أنشأهن إنشاءً أى: خلقهن خلقا جديدًا بديعًا غير عادى ، والله أعلم .

أما عن المادة التى خلق منها الحور العين ، فقد ذكر الطبرانى فى المعجم الكبير عن أبى أمامة – ﷺ – قال: قال رسول الله – ﷺ – : " خلق الله الحور العين من الزعفران " (١) .

والزعفران: صبغ طيب الرائحة ، وزعفرت الثوب : أى صبغته بالزعفران (٢) .

وذكر صاحب القاموس أن الزعفران يكون فى زهر الرمان (٣) .

والزعفران يجمع بين زهاء اللون وجماله ، وبين طيب رائحته ، فإن قيل: إن جمال البشر يفوق جمال الزعفران ، فما العلة فى خلق الحور العين من الزعفران ؟

قلت: إن طبيعة الزعفران كمادة لا يناظر بطبيعة البشر بعد تجسيده ونفخ الروح فيه ، فإن أردت الموازنة فلك أن توازن بين الزعفران كمادة، وبين الطين الأسود الذى هو المادة الأولى للطبيعة البشرية ؛ لأن الله –تعالى–

(١) المعجم الكبير للطبرانى ، تحقيق / حمدى عبد المجيد السلفى ٢٠٠/٨ ، ط الثانية ١٤٠٤هـ ، الموصل .

(٢) ينظر: تاج العروس للزبيدى ٤٢٨/١١ ، ط دار الهداية ، اللسان ٣٢٤/٤ ، ط الأولى – دار صادر – بيروت .

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادى ١٢٧١/١ .

قد كمل وجمل الطبيعة البشرية بتجسيدها ، وعقلها ، وحسن تقويمها، ونفخ الروح فيها، فجعل من الطين الأسود بشرًا بهيا سويًا؛ مما يدل على عظم خلقه، وكمال قدرته فكيف بالزعفران – بزهاء لونه وبهائه وطيب رائحته – إذا كمله الله – تعالى – بالعقل والتجسيد ، والروح ؟ .

ومن هنا كان بهاء الوجه ، وطيب الرائحة أصلًا فى طبيعة خلق الحور العين .

روى ابن أبى شيبة فى مصنفه عن مجاهد قال: إنه ليوجد ريح المرأة من الحور العين من مسيرة خمسين سنة [١] .

وإذا كانت الرائحة تشم من مسيرة خمسين سنة ، فكيف بنفاذ هذه الرائحة ؟

لا عجب فقد تولى الله – تعالى – خلقهن خلقًا جديدًا يناسب ثواب العابدين له ، فهو – جل وعلا – الشكور الذى يعطى جزيل العطاء على أقل عبادة له .

ثانياً: جمال العيون وسبب إطلاق لفظ الحور العين عليهن :

يعرف جمال العيون من إطلاق لفظ الحور العين عليهن ، فمعناه خير دليل على جمال عيونهن ، وقد أشرت قبل ذلك إلى معنى الحور، فقلت : إن الحور جمع حوراء ، والحوراء مشتقة من الحَوَر .

(١) مصنف ابن أبى شيبة ، تحقيق / محمد عوامة ١٠٦/١٣ ، ط الدار السلفية الهندية .

والحَوَرُ: شدة بياض طرفى العين مع زهاء لون وسطها (ولدها) أيا كان لونه : أسود ، أم أخضر ، أم أزرق ، أم غير ذلك ؛ زهاءً لامعًا يتناسق مع شدة بياض طرفيها .

والعين: جمع عيناء، والمرأة العيناء: حسنة العينين واسعتهما(١) .

ولك أن تتخيل الصورة الكلية لجمال عيون الحور العين ، والمركبة من سعة هذه العيون مع بياض أطرافها ، وزهاء لون ولدها ؛ زهاءً لامعًا يتناسق مع شدة بياض أطرافها .

وقد مدح العرب فى المرأة سعة العينين ، كما مدحوا الحَوَرَ فيها ، يقول الشاعر (٢) :

وحوراء إن نظرت إليـ ـك سقتك بالعينين خمرًا

وللعيون لغة يفهم بها الصادق والكاذب ، والصحيح والسقيم والمليح والقبيح ، فقوة العيون مع شدة بياض أطرافها وزهاء لون ولدها يدل على صحة الجسد ، وحيويته وجماله ، كما يدل على روعة الروح وخفتها ودلالها .

يقول الفخر الرازى: " وصفهن بالحسن ، واختار الأحسن من الأحسن ، فإن أحسن ما فى صورة الآدمى وجهه ، وأحسن ما فى الوجه العين ؛ ولأن الحُور والعِينَ يدلان على حسن المزاج فى الأعضاء ، ووفرة المادة فى الأرواح

(١) ينظر: التمهيد ، ص ٢٤٣٤ من البحث .

(٢) ديوان بشار بن برد ، تقديم وشرح / محمد الطاهر بن عاشور ٦٩/٤ ، والبيت من مجزوء الكامل .

، أما حسن المزاج فعلامته الحور ، وأما وفرة الروح ؛ فإن سعة العين ؛ بسبب كثرة الروح المصوَّبة إليها " [١] .

ويقول العلامة السعدى فى تفسيره: " وحسن العين فى الأنثى من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها " [٢] .

ولذا أطلق الله – تعالى – على نساء أهل الجنة لفظ: الحور العين فى التعبير عنهن فى القرآن الكريم .

وهناك أمر آخر ينبغى الإشارة إليه ؛ وهو أن حَوَرَ العيون ليس من الأعضاء الأنثوية الخالصة التى يستحيى اللسان من كثرة ذكرها ، مثل: الفُرُوج ، والنُّهود ونحو ذلك ، بل إن الرجال قد يوصفون به ايضًا ؛ بدليل أن غلمان أهل الجنة أيضًا حور العيون كما تقدم [٣] .

ومن هنا فتسميتهن بذوات الفروج ، أو بنواهد الصدور وغير ذلك؛ مما يخدش الحياء فكيف يكون علمًا عليهن ؟

ولا شك أن هذا يدل على إعجاز القرآن الكريم ، وبراعة نظمه العالى ودقة ألفاظه ومعانيه الرفيعة ؛ حيث أطلق لفظ الحور العين على نساء أهل الجنة وأكثر من ذكره ؛ ليدل على جمالهن ، وروعة حسنهن دون أن يثير الغرائز أو يخدش الحياء .

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٤٢٠٠/١ ، ط دار إحياء التراث العربى .

(٢) تفسير السعدى ، تحقيق / عبد الرحمن اللويحق ٨٣٣/١ ، ط الأولى ١٤٢٠هـ ، مؤسسة الرسالة .

(٣) ينظر: ص ٢٤٣٤ من البحث .

ثالثاً: الحور العين وجمال البشرة :

صور القرآن الكريم بشرة الحور العين فى أجمل وأبهى ، وألمع وأرقى صورة نموذجية تتمناها كل أنثى لجمال جسدها ، وقد جاءت هذه الصورة فى تشبيهات القرآن الكريم لهن تارة بالبيض المكنون فى قوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (١) .

ذكر ابن كثير أن المراد بقوله – تعالى – ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ ، هو تشبيه الحور العين ببياض البيض حين نزع قشرته ، وذكر حديثا رواه الهيثمى عن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت : يا رسول الله أخبرنى عن معنى قول الله – عز وجل – : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ قال – ﷺ – : " رقتهن كرقة الجلدة التى رأسها فى داخل البيضة التى تلى القشر وهى الغرقئ " (٢) .

وقد عرف العرب – منذ قديم – تشبيه المرأة بالبيضة ، يقول امرؤ القيس (٣) :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتَّعتُ من لهو بها غير معجل

---

(١) آية ٤٨ ، ٤٩ سورة الصافات .

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ، تحقيق/ حامدج الطاهر ١٠/٤ ، ١١ ، ط الثانية ١٤٣١هـ ، دار الفجر – القاهرة ، المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ .

(٣) ديوان امرئ القيس ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص١٣. ، ط دار المعارف – مصر ، والبيت من بحر: الطويل .

وأوجه الشبه كثيرة بين المرأة والبيضة ، فالمرأة يجب أن تعامل برفق كالبيضة ؛ حتى لا تنكسر ، كما يجب أن تكون مصونة بالعفة ، والحياء ؛ حتى يفسد جمالها ، فضلًا عن جامع الرقة ، والبياض ، والصفاء .

وفى حديث أم سلمة أشار النبى – ﷺ – إلى رقة بشرة الحور العين ، فهى كرقة جلد البيض الذى يقال له: الفرقئ مما يدل على صفاء أجسادهن .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة – ﷺ – عن النبى – ﷺ – قال: " أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على آثارهم كأحسن كوكب درى فى السماء إضاءة ، قلوبهم على قلب رجل واحد لا تباغض بينهم ولا تحاسد ، لكل امرئ زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم " (١) .

وفى مسند أحمد عن أبى هريرة عن النبى – ﷺ – قال: " لكل رجل منهم زوجان من الحور العين يرى مخ سوقيهما من وراء الحلل " (٢) .

(١) الجامع الصحيح للبخارى ، تحقيق / محمد زهير ١١٩/٤ ، ط الأولى ١٤٢٢هـ ، دار طوق النجاة .

(٢) مسند أحمد ، تحقيق/ الأرنؤوط ٣٤٩/١٦ ، ط الثانية ، مؤسسة الرسالة .

وفى سنن الدارمى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله – ﷺ –:"ا فى الجنة أحد إلا له زوجتان إنه ليرى مخ ساقهما من وراء سبعين حلة " [١] .

ولا تعارض بين هذه الروايات ، فهى تشير إلى صفاء ورقة أجساد الحور العين حتى إن مخ الساق ليظهر من وراء العظم واللحم ، بل ويظهر من وراء سبعين حلة فوق العظم واللحم أيضًا .

ويبدو أن هذا الأمر لا يقتصر على صفاء ورقة أجسادهن فقط بل يشير إلى نورانية هذه الأجساد ، فهى تضئ ، لتظهر من وراء سبعين حلة فوقها ، فسبحان من خلقهن بعنايته وأنشأهن ! ، وطوبى لمن كن له وتمتع بزواجهن ! .

ولم يقتصر جمال البشرة فى الحور العين على الرقة والصفاء فقط بل إن تشبيه القرآن لهن بالبيض فى قوله – تعالى – ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [٢] ؛ يفيد كثيرًا من الملامح الجمالية الأخرى للبشرة ، فالآية الكريمة تشير إلى رطوبة البشرة ، لأن الجلد الرقيق الذى يحيط بالبيضة من الداخل والذى يقال له: الغرقئ مصحوب بالماء دائمًا ؛ ليعمل على ترطيب جسم البيضة ترطيبًا طبعيا ؛ ومن ثم ففى تشبيه الحور العين بالبيض إشارة إلى رطوبة بشرتهن ولين أجسادهن بصورة طبعية مستمرة وبلا مرطبات صناعية .

---

(١) سنن الدرامى ، تحقيق / فواز أحمد زمرلى ، خالد العلمى ٤٣٣/٢ ، ط الأولى ١٤٠٧هـ ، دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان .

(٢) آية ٤٩ من سورة الصافات .

ولا ننسى أن البيضة محاطة بالقشرة من الخارج ، وهى طبقة صوانية تعمل على تماسك جسم البيضة ، وحفظها من الإنسيابية والترهل، ومن ثم ففى تشبيه الحور العين بها ايضا ؛ إشارة إلى تماسك بشرة الحور العين بصفة مستمرة ، وقوتها وحفظها من التجاعيد والترهل دون أن يضعف الزمان من شبابهن .

وفى وصف البيض بأنه مكنون ، إشارة إلى حفظه من الدنس فلم تشبه غبرة ؛ مما يدل على أن بشرة الحور العين أيضًا محفوظة من البقع،والنمش ،والهالات السوداء وغير ذلك من الأمور التى تدنس جمالها.

وتشبيه الحور العين بالبيض أيضًا ؛ يدل على بياض بشرتهن وقد ذكر العلامة القرطبى أن بياض الحور العين يميل إلى الاصفرار وهو أحسن ألوان البشرة المحبوبة فى النساء [١] .

وتارة ترى القرآن الكريم يشبه الحور العين باللؤلؤ كما فى قوله – تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [٢] ، وهو الدر المخزون فى الصدف ، ليدل على حسنهن وصفاء بياضهن كما ذكر العلامة الطبرى وغيره [٣] .

---

(١) ينظر: تفسير القرطبى ، تحقيق/ هشام البخارى ١٥/٨٠ ، ط الأولى ١٤٢٣هـ ، دار عالم الكتب – الرياض .

(٢) آية ٢٢ ، ٢٣ من سورة الواقعة .

(٣) ينظر: تفسير الطبرى ، تحقيق/ أحمد محمد شاكر ٢٣/١٠٧ ، ط مؤسسة الرسالة ، الكشف والبيان لأبى إسحاق النيسابورى ٩/٢٠٦ ، ط الأولى ١٤٢٢هـ ، دار إحياء التراث – بيروت .

وتشبيههن باللؤلؤ يدل على بريق ولمعان بياضهن ، تقول : لألأت المرأة بعينها : برقتهما [١] .

والبريق واللمعان يحدثان من شدة الإضاءة ؛ مما يدل على أنهن قد وصلن إلى ذروة الحسن والجمال ؛ حتى أضاءت أجسادهن .

يقول الأنبارى: وقولهم: قد تلألأ وجه فلان ، معناه : قد حسن وأضاء ، فأشبه بشدة إضاءته اللؤلؤ [٢] .

وإذا كانت الإضاءة مجازية فى وجوه أهل الدنيا فلا مانع من أن تكون حقيقة فى وجوه الحور العين ، فهن فى دار الجزاء ، وقد تولى الله – تعالى – حسنهن وتجميلهن ، والله على كل شئ قدير .

ومن هنا فبشرة الحور العين تتسم بالبياض اللامع المشوب بالصفرة وتارة ترى القرآن الكريم يشبه الحور العين بالياقوت والمرجان كما فى قوله – تعالى – : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [٣] .

والياقوت: جوهر من الجواهر ، وهو أقسام كثيرة وأجوده الأحمر الرمانى ، ويقال له: البهرمانى [٤] .

---

(١) اللسان ١٥٠/١ ، ط الأولى – دار صادر .

(٢) الزاهر فى معانى كلمات الناس لأبى بكر الأنبارى ، تحقيق د/ حاتم الضامن ٢٥٨/٢ ، ط ١٤١٢هـ – مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٣) آية ٥٨ من سورة الرحمن .

(٤) ينظر: تاج العروس للزبيدى ، ١٥٠/٥ ، ط دار الهداية .

وذكر صاحب اللسان أن الكبريت مأخوذ من الياقوت الأحمر [١] والمرجان: صغار اللؤلؤ، وقيل: هو جوهر أحمر تلقيه الجن فى البحر[٢].

وقد جاء ذكره فى قول الأخطل [٣] :

كأنما القَطْر مَرْجانٌ يُساقِطُه إذا علا الرَّوحق والمتنين والكَفَلاَ

وذكر ابن كثير فى تفسير قوله – تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾، أن الحور العين يكن فى صفاء الياقوت ، وبياض المرجان ، فجعل المرجان بمعنى اللؤلؤ .

أما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه [٤] .

وإذا كان الياقوت جوهر أحمر ، والمرجان فى بياض ولمعان اللؤلؤ ، فهذا يدل علأى أن بشرة الحور العين بيضاء صافية لامعة ومشرب بياضها بالحمرة ؛ لتصل إلى الاصفرار الذى هو أحسن ألوان النساء ، والله أعلم .

(١) اللسان ٧٦/٢ ، ط الأولى ، دار صادر .
(٢) مختار الصحاح للرازى ، تحقيق/ محمود خاطر ٦٤٢/١ ، ط ١٤١٥هـ ، مكتبة لبنان – بيروت ، اللسان ٤٠٦/١٣ .
(٣) ديوان الأخطل ص ٧٥ ، والبيت من بحر البسيط ، ط دار الكتاب العربى – سوريا .
(٤) تفسير ابن كثير ٤٠٥/٤ ، ط الثانية ١٤٣١هـ – دار الفجر – القاهرة .

رابعاً: الحور العين وجمال الأنوثة

تحدث القرآن الكريم عن جمال الأنوثة فى الحور العين ، فوصفهن بأنوثة لا مثيل لها فى أسلوب موجز بألفاظ لا تخدش الحياء ، فتراه يتحدث عن المواضع الأنثوية الحساسة ، ويصفها بأجمل الأوصاف ، ومن هذه المواضع ، موضع الفرج الذى كنى القرآن الكريم عنه بأجمل أوصافه وهو: غشاء البكارة الذى تعتز به كل أنثى ، فإذا زال عنها صارت ثيبًا ، وشتان بين البكر والثيب فى اللهو والمتاع .

ولا شك أن البكر هى رغبة كل زوج ؛ حتى إن بعض الأزواج فى أيامنا هذه يلجأون إلى عمليات الترقيع لغشاء البكارة بعد افتضاضه ، وذلك فى الاحتفال بأعياد زواجهم ، فيتمتعون بافتضاضه مرة أخرى .

ومن هنا وصف القرآن الكريم الحور العين ببكارة متجددة ؛ حتى لا يفقدن شيئا من أنوثتهن ، فيدوم التمتع بهن متاعًا كاملًا قال – تعالى – فى وصف الحور العين ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ [١] .

ومعنى قوله –تعالى– ﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ أى : عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى بلا وجع [٢] .

ولا شك أن هذه الصفة لا توجد فى نساء الدنيا ؛ لأن الترقيع لا يتم إلا بعملية جراحية صعبة ، وقد لا تنجح هذه العملية ، وقد تأتى بعواقب وخيمة

---

(١) آية ٣٥ ، ٣٦ من سورة الواقعة .

(٢) تفسير الجلالين ٧١٥/١ ، ط الأولى ، دار الحديث – القاهرة ، البحر المديد لأحمد بن محمد المهدى بن عجيبة ٤٣٨/٧ ، ط الثانية ١٤٢٣هـ .

تضر بالأنوثة ، بخلاف بكارة الحور العين التى تعود إليهن كلما أتاهن أزواجهن بصورة تلقائية ، فضلا عن طهارتهن من الحيض والنفاس وسائر السوائل الفاسدة .

وفى الحديث ما يدل على بكارة الحور العين بصفة تلقائية كلما أتاهن أزواجهن .

روى الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – : " إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عُدنَ أبكارًا "(١) .

وقد سئل عبد الله بن مسعود عن تفسير قوله – تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ (٢) .

فقال: شغلهم افتضاض العذارى (٣) .

ومن المعروف أن النفس تنشغل بشيئين: بفرح مسعد ، أو بهم مقلق ولا سعادة أتم فى الوطء والنكاح من افتضاض العذارى بصفة دائمة كلما افتضَّت عادت للتلذذ بها مرة أخرى ، فينشغل المؤمنون بالتلذذ بها بصفة غير منقطعة .

---

(١) المعجم الصغير للطبرانى ١٦٠/١ ، ط الأولى .

(٢) آية ٥٥ من سورة يس .

(٣) ينظر: تفسير الطبرى ٥٣٤/٢٠ ، حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ، تحقيق أ/خالد عثمان ، مراجعة أ/ طه عبد الرءوف ، ص٢٢٤ ، ط الأولى ١٤٢٤هـ ، مكتبة الصفا – القاهرة .

ومن المواضع الأنثوية الحساسة التى تحدث القرآن الكريم أيضا عنها فى الحور العين: موضع الثدى ؛ حيث كنى القرآن عنه بأجمل أوصافه ، وذلك فى قوله – تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ (١) .

فقوله – تعالى: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ كناية عن نساء أهل الجنة من الحور العين .

وقد ذكر العلامة الطبرى فى تفسيره أن الكواعب معناها: النواهد ، فتكون صفة لجمال ثدى الحور العين (٢) .

يقول القرطبى: كواعب : جمع كاعب وهى الناهد ؛ يقال: كعَّبت الجارية تكعبت كُعُوبًا ، وكعَّبت تكعِّب تكعيبًا ، ونهدت تنهِّد نُهُودًا (٣) .

وذكر الفخر الرازى – ﷺ – أن الكاعب هى التى يكون ثديها كالكعب فى البروز والنتوء ، فقال: " كواعب جمع كاعب وهن النواهد اللاتى تكعب ثديهن ، وتفلك أى: يكون الثدى فى النتوء كالكعب والفلكة ... " (٤) .

(١) الآيات ٣١ : ٣٤ من سورة النبأ .

(٢) ينظر: تفسير الطبرى ١٢١/٢٤ .

(٣) تفسير القرطبى ١٨٣/١٩ ، ط ١٤٢٣هـ دار عالم الكتب – الرياض .

(٤) تفسير الفخر الرازى ٤٦٤٩/١ ، ط دار إحياء التراث العربى .

وزاد الألوسى الاستدارة فى الثدى مع بروزه ، فقال: " ... وكواعب جمع كاعب ، وهى المرأة التى تكعَّب ثدياها ، واستدار مع ارتفاع يسير ، ويكون ذلك فى سن البلوغ " (١) .

وهذا الوصف يدل على كمال الأنوثة ، وقد ورد ذكره على ألسنة شعراء العرب كقول عمر بن أبى ربيعة (٢) .

فكان مِجَنَّى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعَباتٍ ومُعْصِرُ

وفى تشبيه الثدى بالكعب إشارة أيضًا إلى قوته وتماسكه ، وعدم تدليه وترهله ، فضلًا عن بياضه ونعومته ، وبريقه ، ولمعانه ، ورقة بشرته ، وغير ذلك مما تقدم فى مقاييس جمال بشرة الحور العين .

والثدى هو محور الأنوثة فى المرأة ، ومن ثم فتكعيبه مع استدارته وبروزه ونهوده يدل على رشاقة جسد المرأة مع جمال قوامه ، وحسن تقسيمه ، كا يدل على نمو الهرمونات الأنثوية فى جسد المرأة .

أما قوله – تعالى – ﴿ أترابًا ﴾ ، فقد ذكر الشيخ الشربينى أنهن أتراب فى الأخلاق لا تباغض فيهن ولا تحاسد (٣) .

---

(١) روح المعانى للألوسى ١٨/٣٠ ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت .

(٢) ديوان عمر بن أبى ربيعة ، ص٦٦ ، ط ١٩٧٨م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والبيت من بحر الطويل .

(٣) تفسير السراج المنير لشمس الدين الشربينى ١٢٨/٤،دار الكتب العلمية – بيروت .

وذكر علاء الدين البغدادى أن المراد أمثالا فى الخلق ، وقيل: مستويات فى السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين [١] .

والثانى: هو الراجح ، وإن كان لا مانع من الجمع بينهما ، فهن على درجة واحدة فى الأخلاق والسن ، وأزواجهن كذلك ، كما ذكر العلامة البيضاوى [٢] .

وسن الثلاثة والثلاثين يدل على قمة النضج الجسمى والعقلى والجنسى ، وفيه تكون الأنثى فى قمة أنوثتها ، وهو السن الثابت لهن بلا هرم أو كبر .

وبعد إشارة القرآن الكريم إلى المواضع الأنثوية الحسَّاسة فى الحور العين ، وإلى مظاهر جمالها ، وكمال نضجها ونهودها تأتى الإشارة إلى الإفصاح عن هذا الجمال الخارق ، والأنوثة المعجزة التى تجذب أزواج الحور العين إليهن ؛ فيتَّمتعوا بهن .

وهنا يأتى دور الحور العين ، فيعربن عن أنوثتهن ؛ حتى يكتمل المتاع بهن ، وقد حكى القرآن الكريم ذلك فى قوله – تعالى – ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[٣] .

---

(١) تفسير الخازن لعلاء الدين البغدادى الشهير بالخازن ١٩/٧ ، ط ١٣٩٩هـ ، دار الفكر – بيروت .

(٢) ينظر: تفسير البيضاوى ٢٨٧/١ .

(٣) آية ٣٧ من سورة الواقعة .

يقول الصنعانى: عُرُبًا عشاقا لأزواجهن [١] .

يقول العلامة الطبرى: عُرُبًا: غَنِجَاتٌ متحببات إلى أزواجهن ، يحسن التبعل ، وهى جمع ، واحدها: عروب [٢] .

وعن عكرمة: واحدها عروبة : وهى الغَنِجةُ ... ، وهى: الشكِلَةُ بلغة أهل مكة [٣] .

ويمكن أن أقول: إن العُرُبَ جمع عروبة : وهى التى تعرب عن أنوثتها أى تتفنن فى إظهار أنوثتها بالأقوال ، والأفعال ، والحركات وغير ذلك ، فتثير شهوة زوجها نحوها ، وتستميل قلبه إليها بإغرائها له .

وقد عدَّ العرب هذه الصفة من أهم الصفات الجمالية للمرأة ، ومن ثم وصف الشعراء بها محبوباتهم .

يقول لبيد [٤] :

وفى الحَدُوج عَرَوَبٌ غير فاحشة ريَّا الرَّوادفِ يعشى دونها البصر

---

(١) تفسير الصنعانى ، تحقيق د/ مصطفى مسلم ٢٧١/٢ ، ط ١٤١٠هـ ، مكتبة الرشد – الرياض .

(٢) تفسير الطبرى ١٢٠/٢٣ .

(٣) اللباب فى علوم الكتاب لأبى حفص عمر الدمشقى ٤٠٣/١٨ ، ط الأولى ١٤١٩هـ ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامرى ، ص٥٦ . ط دار صادر – بيروت – لبنان .

ولا حرج على المرأة إذا تفننت فى إظهار أنوثتها لزوجها مادام ذلك عند خلوته بها ، ولم تعطِّل شيئًا من الفرائض المفروضة عليها ، بل ولها أجر عفاف زوجها عن الحرام إن نوت ذلك .

وجمال الأنوثة فى المرأة مع نضجها يمكنانها من الإعراب والإفصاح عنها بلغة جميلة مغرية .

وهنا يأتى دور اللغة فى الجمال والإثارة ، والإغراء ؛ لذا قرأ حمزة وغيره : عُرْبا – بتسكين الراء – للإفادة بأن كلامهن عربى [1] .

ولا تعارض بين القراءتين ، فالحور العين يعربن عن أنوثتهن بكلام عربى جميل يخاطب الغرائز ، والمشاعر ، والأحاسيس ، كما يخاطب العقول والأفهام .

وهناك أمر آخر له دور مهم فى إعراب الحور العين عن أنوثتهن، وإغرائهن لأزواجهن ، ألا وهو: اللباس أو الأزياء ، فاللباس الحسن الجميل يجمل القبيح ، فكيف بالجميل إذا تلألأ على جسده أحسن الثياب وأجمله ؟

وترى القرآن الكريم فى حديثه عن أزياء الحور العين يجمع بين زينتهن بأجمل الحلى ، وأفخم الثياب وأروعه ؛ قال – تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا

(١) تفسير البيضاوى ٢٨٧/١ .

خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (١) .

فقوله – تعالى –: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ ؛ إشارة إلى حلى أهلى الجنة ، والمعنى: يلبسون فيها من الحلى أساور من ذهب (٢) .

والأساور: جمع أسورة ، والأسورة : جمع سوار ؛ وهو الذى يلبس فى الذراع من ذهب (٣) .

ومن هنا يتضح أن الأساور جمع الجمع ؛ كناية عن كثرتها ، وذكر ابن عاشور أن السوار: حَلْى شكله اسطوانى ، فارغ الوسط يلبسه النساء فى معاصمهن (٤) .

وهناك أشياء تعدُّ من أروع الزينة والحلى الذى تتحلى به النساء فى الدنيا ، ومع ذلك لم يرد لها ذكر فى القرآن الكريم ضمن حلى أهل الجنة كالخاتم ، والخلاخيل والسلاسل ؛ ولذا أرى أنها تدخل فى مضمون الأسورة فالأساور: جمع أسورة ، والأسورة جمع سوار ، والسوار: هو ما سوَّر المحلى من عنق أو أصبع ، أو ساعد أو ساق – وأحاط به ليحليِّه ويزينه .

---

(١) آية ٣٠ ، ٣١ من سورة الكهف .

(٢) تفسير الطبرى ١٧/١٨ .

(٣) ينظر: معانى القرآن للنحاس ، تحقيق/ محمد على الصابونى ٢٣٦/٤ ، ط الأولى ١٤٠٩هـ – جامعة أم القرى – مكة ، تفسير القرطبى ٣٩٦/١٠ .

(٤) تفسير التحرير والتنوير ٤٠٠/٢٩ ، ط ١٩٩٧م ، دار سحنون – تونس .

والسوار على هذا المعنى يدخل الخاتم ، والخلخال ، والسلاسل الذهبية التى تتلألأ نورًا فى أعناق ونحور الحور العين .

وفى الآيات السابقة وصفت الأساور بأنها من ذهب ، وفى آية آخرى وصفت بأنها من فضة فى قوله – تعالى: ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (١) .

وقد رد على ذلك صاحب التحرير والتنوير ، فذكر أنهن يحلون مرة من ذهب ، وأخرى من فضة ، أو يحلونهما جميعًا بأن تجعل متزاوجة؛ لأن ذلك أبهج منظرًا (٢) .

وفى آية أخرى يقول الله – تعالى – ﴿ ... يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ... ﴾ (٣) .

ذكر بعضهم أن المعنى: يحلون فيها من أساور من ذهب مرصَّع باللؤلؤ (٤) .

ويبدو لى أن المعنى: يحلون فيها من أساور من ذهب يتلألأ نورًا من شدة بريقه ولمعانه ، فيبهج الناظرين إليه .

وبعد أن أشار إلى زينة الحلى أشار إلى زينة اللباس فقال: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ .

---

(١) آية ٢١ من سورة الإنسان .

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٩/٤٠٠ .

(٣) آية ٢٣ من سورة الحج .

(٤) تفسير البحر المديد ٦/١٩٤ ، ط الثانية ١٤٢٣هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت .

وقد اختار الحرير لما فيه من اللذة ، والليونة ، والزينة [١] .

وفى آية الكهف فصل أنواع الحرير ، فقال: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ... ﴾ [٢] .

وقد ذكر مقاتل فى تفسيره أن الحرير يكون مما يلى الجسد ، وأن أعلاه السندس ، والإستبرق [٣] .

والسندس : واحدها سندسة ، وهى : ما رق من الديباج ، والإستبرق : ما غلظ منه ، وقيل: الإستبرق هو: الديباج المنسوج بالذهب، وهو فارسى معرب [٤] .

وهكذا اكتملت الزينة فى الحور العين بشتى أنواع الحلى ، والحرير الذى يتلألأ على أجسادهن ؛ حتى يكتمل المتاع بهن ، ولك أن تتخيل الحور العين ببياض أجسادهن ، وصفائهن ، ورقتهن ، ونعومتهن ، فكيف إذا تلألأت الأساور فى سواعدهن ، وسيقانهن الصافية ، وتلألأت السلاسل الذهبية

(١) تفسير البحر المديد ١٩٤/٦ .

(٢) آية ٣١ من سورة الكهف .

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان الأزدى ٣٨٠/٢ ، ط الأولى ١٤٢٤هـ ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٤) ينظر: تفسير الطبرى ١٧/١٨ ، تفسير العز بن عبد السلام السلمى ، تحقيق د/ عبد الله الوهبى ٦١٩/١ ، ط الأولى ١٤١٦هـ ، دار ابن حزم – بيروت .

والفضية فى نحورهن وأعناقهن البيضاء الناعمة ، أفلا يزيد ذلك فى جمال أنوثتهن ؟ .

وقد روى أبو إسحاق الثعلبى : أن الحوراء إذا مشت سمع تقديس الخلاخيل من ساقيها ، وتمجيد الأسورة من ساعديها ، وإن عقد الياقوت ليضحك من نحرها ، وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ [١] .

وبعد ذلك ، كيف إذا تلألأ الحرير الناعم اللين على أجسادهن البيضاء الناعمة ؟

ولا يقتصر جمال الحرير فيهن على لينه ، ونعومته ، وبريقه ، ولمعانه ، بل قد تم تفصيله بطريقة منظمة تشتهيها الأنفس ، وهى تفوق أحدث صيحات الموضة بمراحل كثيرة ، فتراه يضيق فى مواطن الأنوثة فيهن بطريقة منسقة فى أحسن تقويم ؛ ليظهر أنوثتهن لأزواجهن ، فيكتمل المتاع بهن ، ومن ثم يتضح دور الحلى واللباس فى إبراز جمال أنوثتهن ، فيبدو فيهن جمال زائد على جمالهن .

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أهم الملامح الجمالية للحور العين والتى تنبئ عن براعة جمالهن النفسى ، والعقلى ، والجسدى ، جمالا نابعا من عناية الله – تعالى – فى خلقهن وتجميلهن ؛ ليثيب بهن الطائعين من عباده الصالحين .

---

(١) الكشف والبيان لأبى إسحاق الثعلبى ، تحقيق / محمد بن عاشور ٩/٢٠٥ ، ط الأولى ١٤٢٢هـ ، بيروت .

وهذه الملامح الجمالية تعد نموذجًا كاملًا لمظاهر الجمال الأنثوية التى تبحث عنها كل أنثى مذعنة بجمالها المعجز ، وكفى فى ذلك إخبار القرآن الكريم والسنة النبوية عن هذه الملامح الجمالية ؛ مما يجعلها صالحة لأن تكون مقياسًا لفلسفات الجمال الأنثوى .

ومن هنا أقول ولا أبالى: إن الملامح الجمالية للحور العين التى جاء وصفها فى القرآن والحديث تمثل أهم المقاييس النموذجية لفلسفات جمال المرأة التى يجب أن يقف النقاد والأدباء عندها ، وعلى فلاسفة الجمال أن يقفوا عندها أيضًا ؛ لأنها قد أتت إلينا بوحى معصوم من الخطأ، ولم يناقضها الواقع فى شئ .

وفى نهاية هذا الفصل أودُّ أن أبشر المؤمنات من نساء أهل الدنيا بأن جمالهن فى الجنة سيفوق جمال الحور العين ، ففى حديث أم سلمة – رضى الله عنها – بعد أن سألت النبى – ﷺ – : أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال: بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة ، فقالت له: وبم ذاك ؟ قال: بصلاتهن ، وصيامهن ، وعبادتهن لله – عز وجل – ألبس الله – عز وجل – وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان خضر الثياب ، صفر الحلى ، مجامرهن الدر ، وأمشاطهن الذهب [1] .

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط ٢٧٨/٣ ، ورواه فى المعجم الكبير ٣٦٧/٢٣ ، ط الثانية .

الفصل الثانى

نثر الحور العين و أهم موضوعاته ، ومعانيه الفرعية

المراد بنثر الحور العين : ما نسبه النبى – ﷺ – إلى الحور العين من كلام منثور فى أحاديثه الشريفة ، وكذا ما نسبه المحدثون إليهن مرويًا بالسند المتصل من قصصهن مع بعض رجال السلف الصالح الصادقين المخلصين فى رؤياهم المنامية التى هى جزء من الوحى ، وجزء من النبوة كما أخبر رسول الله –ﷺ – فى أحاديثه الشريفة .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن رسول الله – ﷺ – قال: "لم تكذب رؤيا المؤمن ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة " [1] .

وروى العلامة الطبرى فى تفسيره عن عبادة بن الصامت – ﷺ – أنه سأل النبى – ﷺ – عن هذه الآية ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ ، فقال رسول الله – ﷺ – : " لقد سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك ، قال: هى الرؤية الصالحة يراها

(١) الجمع بين الصحيحين البخارى ومسلم لمحمد بن فتوح الحميدى ٢١/٣ ، تحقيق د/ على البواب ط الثانية ١٤٢٣هـ – دار ابن حزم – بيروت .

الرجل الصالح أو ترى له " [١] .

وفى سنن ابن ماجة عن أبى قتادة أن رسول الله – ﷺ – قال: " الرؤيا من الله " [٢] .

ومن هنا يمكن القول: إن رؤيا المؤمن بشرى من الله ،وهى جزء من النبوة والوحى ؛ ولذا ألحقت بنثر الحور العين ما جاء من حديثهن مع بعض زهاد السلف الصالح المخلصين فى رؤياهم المنامية الصادقة التى رواها المحدثون إلينا بالسند المتصل فى كتبهم المعتمدة ما دام حديثهن لا يعارض نصا شرعيًا .

والحق إن القرآن الكريم لم يحك نثر العين الذى جاء على لسانهن، لكنه تحدث بأسلوبه الرفيع عن صفات جمال أهل الجنة التى من بينها عذوبة المنطق وحسن الكلام .

ولا شك أن الجمال الجسدى ، والنفسى ، والعقلى ، والروحى يسوق إلى عذوبة المنطق ، وحسن الكلام ، وقد بدا ذلك واضحًا جليًا فى جمال الحور العين ، وعذوبة كلامهن ، فبعد أن وصف القرآن الكريم جمال لباس

(١) وقد جاء هذا الحديث فى موطأ مالك عن طريق هشام بن عروة ، انظر: موطأ مالك تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى ٩٥٨/٢ ، ط دار إحياء التراث العربى – مصر ، تفسير الطبرى ١٢٥/١٥ .

(٢) سنن ابن ماجة ١٢٨٦/٢ ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى ، ط دار الفكر – بيروت.

أهل الجنة تحدث عن كلامهم ، فوصفه بالطيب والحسن ، فقال: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ (١) .

وكلام الحور العين جزء من كلام أهل الجنة فى روعته ، وعذوبة منطقه ، فهن يعبِّرن عن أنوثتهن بكلام عربى فصيح يخاطب المشاعر والأحاسيس كما يخاطب العقول والأفهام ، وخير دليل على ذلك قراءة حمزة فى وصف الحور العين " عربا أترابا " بتسكين الراء فى " عرْبا " ؛ للإفادة بأن كلامهن عربى كما ذكر العلامة البيضاوى (٢) .

ولا شك أن العربية هى أجمل اللغات فى التعبير عن الأفكار ، والأحاسيس ؛ لما فيها من حسن الألفاظ ، وجمال التراكيب ، وبراعة الأساليب .

وقد جاء نثر الحور العين مصوغًا بأسلوب أدبى رفيه ؛ معبرًا عن معانٍ رفيعة ذات رسائل سامية تتفق مع المعنى الحقيقى للأدب فى برجه السامى الرفيع ، بل تعد نموذجًا مثاليًا للأدب السامى الرفيع الذى لا نظير له عند أدباء البشر .

وقد نال النثر الفنى حظه الأوفر من أدب الحور العين ، فوجدت لهن كثيرًا من الأحاديث الفنية العالية التى رواها المحدثون لهن ، والتى تنوعت موضوعاتها ، ومعانيها الفرعية كما يلى:

---

(١) آية ٢٤ من سورة الحج .

(٢) ينظر: تفسير البيضاوى ٢٨٧/١ .

١- دعاء الحور العين لأزواجهن ، وحرصهن على عدم أذيتهم فى الدنيا .

عن أبى سعيد الخدرى – ﷺ – أن رسول الله – ﷺ – قال: " إن أدنى أهل الجنة منزلة : رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ، ومثل له شجرة ذات ظل ، فقال: أى رب : قربنى من هذه الشجرة لأكون فى ظلها ... فإذا انقطعت به الأمانى ، قال الله: هو لك وعشرة أمثاله ، قال: ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتان من الحور العين ، فيقولان: الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك " (١) .

يفهم من هذا الحديث أن هذا الرجل كان على شفا حفرة من النار فأنقذه الله منها ، وقد يكون ذلك بسبب دعاء الحور العين له ، وقول زوجتاه من الحور العين : " الحمد لله الذى أحياك لنا " يدل على ذلك .

وقولهما (وأحيانا لك) ؛ يدل على أن حياتهما فى الجنة ترتبط بحياة زوجهما ؛ لأنهما خلقا من أجله ، ويؤيد ذلك ما رواه أنس عن النبى – ﷺ – قال: " إن الحور العين ليغنِّين فى الجنة يقلن: " نحن الحور الحسان ؛ خلقن لأزواج كرام " (٢) .

---

(١) الحديث فى: الجمع بين الصحيحين ٢/ ٣٥٠ ، مسند الإمام أحمد ٣١٥/١٧ ، ط مؤسسة الرسالة ، صحخيح مسلم ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى ١٧٥/١ ، جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير الجزرى ، تحقيق/ عبد القادر الأرنؤوط ٥٥٦/١٠ ، ط الأولى – دار البيان .

(٢) كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى ، تحقيق/ بكرى حيانى ٥١٨/١٤ ، ط الخامسة ١٤٠١هـ ، مؤسسة الرسالة .

فقد خلقهن الله – تعالى – ليتمتع الأزواج المؤمنون بهن ، ويتمتعن بالمؤمنين فى قصور الجنة ، ورياضها ، وبساتينها ، وخيامها اللؤلؤية ولولا إيمان أزواجهن لما خلقهن الله – تعالى – ، ولما تمتعن بنعيم الجنة معهم ؛ ولذا ترى الحور العين يفرحن بشدة بإيمان أزواجهن ، ويحرصن على عدم أذيتهم فى عالم الدنيا ؛ ويؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل عن النبى – ﷺ – قال: " لا تؤذى مرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه – قاتلك الله – فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا " (١) .

الشرح والتحليل

من الواضح أن قول الحوراء : لا تؤذيه (قاتلك الله) أنها جملة إنشائية تحمل معنى الطلب والدعاء ، فهى تطلب من الزوجة الفاسقة التى تؤذى زوجها المؤمن ، أن تكف عن أذاه فى الدنيا ؛ حتى يتمكن منن عبادة ربه فى أمن واطمئنان .

وقول الحوراء: قاتلك الله ! جملة دعائية ، حيث تدعو على هذه الزوجة الفاسقة التى تنغص حياة زوجها المؤمن ، وتحذرها من عقاب الله لها إن لم تكف عن أذاه .

وبعد ذلك تقول: " فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا " ، أى: لا تظنى أنك قد ملكت رقبته وأنه سيطيل المكث عندك فى عالم الدنيا حتى تفعلين فيه ما شئت ، وتؤذينه كيف شئت ، فالأمر ليس كذلك ، فإنما هو

(١) مسند الإمام أحمد ٤١٧/٣٦ ، وسنن ابن ماجة ٦٤٩/١ .

داخل عندك فى هذه الدار الفانية لفترة قصيرة ، لينشغل فيها بعبادة ربه ، وقد أوشكت أن تنتهى ، فيفارقك ويأتى إلينا فى هذه الدار الباقية بعمله الصالح ، فيثيبه الله – تعالى – عليه ، ويمتعه بنا ويمتعنا به فى القصور الجنانية ، وغرفها العالية ، وخيامها اللؤلؤية .

٢- الحور العين وصلاة التهجد :

لا يزال الحور العين يتمنين لأزواجهن كثرة العبادة وقد بدا ذلك واضحًا فى الحث على صلاة التهجد وقيام الليل فى نثرهن كما فى القصتين الآتيتين:

أ) قصة مغيث التَّغلبى [١] مع حوراء العيون

روى ابن أبى الدنيا عن محمد بن الحسين عن أزهر بن مغيث التغلبى عن أبيه (وكان من القوامين لله فى سواد الليل) قال: رأيت فى منامى امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا ، فقلت: من أنت ؟ قالت: حوراء أمة الله ، قال: قلت: زوجينى نفسك ، قالت: اخطبنى إلى سيدى وامهرنى ، قال: قلت: وما مهرك ؟ قالت: طول التهجد [٢] .

الشرح والتحليل

(١) هو: مغيث بن ثابت التغلبى كان من رجال السلف الصالح الطاهرين وكان من القوامين فى سواد الليل ، وكان ولده أزهر بن مغيث بن ثابت من المحدثين وقد حدث عن والده مغيث بن ثابت وأشار إلى ذلك ابن أبى الدنيا وابن ماكولا ، ينظر: التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا ١/٣٢٠ . ، تحقيق/مصلح الحارثى ، ط الأولى ١٩٩٨م ، مكتبة الرشيد – الرياض ، إكمال الكمال لابن ماكولا ٧/٢٧٨ .

(٢) التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا ١/٣٢٠ .

يتضح من خلال النص السابق أن الحوار القصصى قد دار بين مغيث ابن ثابت التغلبى وبين حوراء العيون ؛ حيث قال لها: من أنت ؟ سأل عنها لما انبهر بجمالها ، فأجابته بقولها: حوراء أمة الله .

وهى مع جمالها المدهش لم تنس خالقها ، فأضافت نفسها إليه وقالت أمة الله ، وهذه الإضافة تفيد بأن الله – تعالى – هو وليها ، وسيدها وبعد إعجابه بها قال لها: زوجينى نفسك ، فأرشدته إلى خالقها وسيدها ، وقالت له: اخطبنى إلى سيدى ، وامهرنى ، ولما كانت أمة الله ، كان الله – تعالى – هو ولى أمرها وأمر زواجها ، وكفى به – جل وعلا – شهيدًا فلم تحتج إلى شهود ، وربما أشهد ملائكته .

وبعد ذلك قال لها: وما مهرك ؟ قالت: طول التهجد .

ولما كان ولى زواجها هو الله الحى الباقى الذى لا يفنى ، فكان جمالها باقيا لا يتأثر بكبر أو هرم ،وكانت الدار الباقية هى محل إقامتها فى جناتها العالية ؛ لزم أن يكون مهرها نفيسا باقيا ؛ ولذا فجميع أموال الدنيا لا تفى بمهرها ؛ لأن أموال الدنيا وعرضها حطام زائل لا يدوم .

ومن هنا طلبت التعبد بصلاة التهجد والتطويل فيها مهرًا لخطبتها وهى صلاة المحسنين من هذه الأمة ، وقد واظب عليها رسول الله – ﷺ– بعد أن نزل قوله – تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [1] .

(١) آية ٧٩ من سورة الإسراء .

والله – تعالى فى الآية السابقة يرجو ذاته فى قوله – تعالى – ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ ، ورجاء الذات للذات مجاب فى حق البشر، فكيف به فى حق خالق البشر ؟

وصلاة التهجد تصلى فى الثلث الأخير من الليل ، وكما كانت سببًا فى رفعة رسول الله ﷺ إلى المقام المحمود الذى يعلو به على سائر الأنبياء والمرسلين ، فهى أيضا سبب فى رفعة المؤمنين والمؤمنات بين درجات الأولياء والصالحين ، ويثاب مصليها برضا الله – تعالى – مع نعيم الجنة الباقى الذى لا يزول ؛ ومن ثم فقد طلبتها الحوراء فى القصة السابقة مهرًا لها .

ب) قصة أبى سليمان الدارانى مع حوراء العيون

ذكر الإمام البيهقى هذه القصة فى شعبه ، ورواها على لسان أبى سليمان الدارانى [1] ؛ حيث قال: " بينا أنا ساجد إذ ذهب بى النوم فإذا أنا بها – يعنى الحوراء – قد ركضتنى برجلها وقالت: حبيبى ! أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟ بؤسا لعين آثرت لذة نومه على لذة

(١) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الدارانى نسبة إلى قرية داريا التابعة لبلاد الشام ، وكنيته أبو سليمان ، كان من عباد أهل الشام وزهادهم ومن أفاضل أهل زمانه ، وكانت وفاته ٢١٥هـ ، ينظر: الثقات لابن حبان ، تحقيق/ السيد شرف الدين أحمد ٣٧٦/٨ ، ٣٧٧ ، ط الأولى ١٣٩٥هـ ، دار الفكر – الروضة الريا فيمن دفن بداريا لابن عماد الدين الدمشقى ، تحقيق/ عبده الأشعث ٨١/١ ، ط ١٤٠٨هـ ، دمشق – سوريا .

مناجاة العزيز ! قم فقد دنا الفراغ ، ولقى المحبون بعضهم بعضًا ، فما هذا الرقاد حبيبى وقرة عينى ؟ أترقد عيناك وأربى لك فى الخدر منذ كذا وكذا ؟ .

قال أبو سليمان: فوثبت فزعًا ، وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياى وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وعقلى " [١] .

الشرح والتحليل

من الواضح أن أبا سليمان الدارانى كان يصلى صلاة التهجد فأطال فى سجوده ؛ حتى نام وهو ساجد ؛ ليريه الله – تعالى – جمال هذه الحوراء فيزداد إيمانًا ومحافظة على تهجده ، فيقول: فإذا أنا بالحوراء قد ركضتنى برجلها وقالت: حبيبى ! .

ومعنى ركضته برجلها أى: ضربته [٢] .

وكيف تضربه برجلها ثم تقول له بعد ذلك : حبيبى !

يبدو أنها قد ضربته برجلها ؛ لأنها تعلم أنه فى مقام يحسد عليه فهو يسجد بين يدى ربه فى وقت السحر ، والله – تعالى – يباهى به ملائكته ويفتح له باب القبول والإجابة ، فكيف ينام عن هذه النعم ؟

كما يبدو أن ضربها كان من وحى حبها وإخلاصها له ، وضرب الحبيب ليس كضرب غيره فى الرفق ، والقبول ، فكيف بضرب حوراء العيون ؟

---

(١) شعب الإيمان للبيهقى ، تحقيق د/ عبد العلى حامد ١٨٣/٢ ، ط الأولى ١٤٢٣هـ مكتبة الرشد – الرياض .

(٢) المصباح المنير ٢٣٧/١ .

ولذا استهلت حديثها معه بقولها " حبيبى ! " أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟

فبعد أن أيقظته برجلها ترفقت إليه بحبها له ؛ ليكون فى نعيم حبها عوضا عن لذة النوم ، فقالت له : حبيبى !

ما أحلاها من كلمة ! فكيف بها إذا نبعت من فم حوراء العيون ؟ فهى تحمل فى طياتها الكثير والكثير ، ثم تنطلق به لتبين له ما هو ألذ من النوم ، بل ومن حبها له ، ألا وهو: سجوده لربه فى تهجده ومناجاته له ، فهو سبب حبها له ، وهو لا يدرى .

وبعد أن ترفقت عليه بإظهار حبها له ، لجأت إلى القسوة عليه مرة أخرى فوبختـه على نومه قائلة : " أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟ أى: كيف ترقد عيناك وملك الملوك حى لا ينام وينظر إلى صلاة المتهجدين له فى تهجدهم ؛ ليجازيهم عليها أحسن الجزاء بالغفران ، والرضا ، واللَّذة والنعيم .

والاستفهام للتوبيخ بدليل قوله فى نهاية الرؤيا: وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياى .

وبعد ذلك تقول: " بؤسًا [(١)] لعين آثرت لذة نومه على لذة مناجاة العزيز ! " [(٢)]

---

(١) البؤس: الضر ، المصباح المنير ٦٥/١ ، ط المكتبة العلمية – بيروت .

(٢) شعب الإيمان ١٨٣/٢ ، ط الرياض .

فهى تدعو بالضر والشقاء على العين التى تؤثر لذة النوم على لذة صلاة التهجد، ومناجاة الملك العزيز فيها ، والتضرع إليه بالذكر والدعاء.

وفى الفقرة السابقة وصفت المولى – عز وجل – بالملك الذى لا ينام بل ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ، كما وصفته بالعزيز ، لتخبر عن عظم التهجد له والوقوف بين يديه ، وعظم مناجاته ، فملوك الدنيا – مع حقارتهم – لا يمكنون أى أحد من مناجاتهم .

أما ملك الملوك – جل وعلا – فمع عزته على الأعزاء يمكن عباده الضعفاء من الوقوف بين يديه ، ومناجاته ، والنيل من نعمه وآلائه الدنيوية ويرفع الضر والبلاء عنهم ، ويدخر لهم الثواب العظيم فى الآخرة ؛ ولذا فهى تأمره بالقيام إلى الصلاة ، ولقاء الملك العزيز ، فتقول: " قم فقد دنا الفراغ ، ولقى المحبون بعضهم بعضا " [١] .

أى: انهض إلى صلاتك فى وقت السحر المبارك ، فقد دنت الفجوة الكبيرة الفارغة التى بين العباد وربهم ، وتجلى الله – تعالى – عليهم بحبه ورضاه ، وشرفهم بحسن لقائه ، وأكرمهم بعطاياه ؛ ومن ثم فهى تتساءل قائلًا:

" فما هذا الرقاد حبيبى وقرة عينى ؟ " [٢] .

أى: إذا علمت بهذه النعم الغزيرة التى تفيض عليك بسبب تهجدك فى ظلام الليل ، فلِمَ هذا النوم ؟

---

(١) المرجع السابق ١٨٣/٢ .

(٢) شعب الإيمان ١٨٣/٢ .

وتراها تخفف من حدة إنكارها عليه ، فتلطف فى عبارتها وتختمها بقولها: حبيبى وقرة عينى ! ، ليكون ذلك أدعى إلى تأثيرها فيه ، فكأنها تقول: ياحبيب قلبى ، وياسرور عينى ! ما أنكرت عليك النوم إلا لحبى وإخلاصى لك ، وعلمى بأن الخير كله فى تهجدك ومناجاتاك لملك الملوك.

وفى نهاية حوارها معه تذكرة بنعمة محسوسه قد ادخرها الله – تعالى– له، فتقول:" أترقد عيناك وأربى لك فى الخدر منذ كذا وكذا؟ "[١] .

أى: ما كان لعينك أن ترقد عن الصلاة فى ظلام الليل ، والله – تعالى – منذ سنين كثيرة قد خلقنى وأخذ يكبرنى ويربينى ، ويجملنى ، ويحلينى بالأساور والسلاسل الفضية والذهبية ؛ لتتمتع وتتلذذ بى فى الخيام اللؤلؤية فى الجنة .

وقد وقف أبو سليمان موقف المحب لهذه الحوراء الصامت المتلذذ بحديثها المؤثر ، فلم ينطق بكلمة أثناء حوارها ، وبعد نهايته قال: " فوثبت فزعًا ، وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياى ، وإن حلاوة منطقها لفى سمعى ، وعقلى " [٢] .

وهذه الفقرة تدل على حكمتها فى دعوته ومدى تاثيرها فيه حتى فزع إلى صلاته بعد أن اشتد عرقه من شدة توبيخها له ، ومع ذلك لم ينس عباراتها العذبة الرقيقة التى كانت تلطف بها أسلوب التوبيخ والإنكار، فقال: وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وعقلى .

---

(١) المرجع السابق ١٨٣/٢ ، ط الرياض .

(٢) شعب الإيمان ١٨٣/٢ .

٣- الحور العين وشهر الصيام والصائمين

لم يفت أدب الحور العين حديثهن عن شهر الصيام ، والاستعداد له؛ لما فيه من مشقة على المؤمنين فى الدنيا ، وخير كثير فى الآخرة .

روى البيهقى فى شعبه عن ابن عباس أنه سمع رسول الله –ﷺ – يقول:" إن الجنة لتخبر وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها: المثيرة تصفق ورق أشجار الجنات وحلق المصاريع ، فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه ، فتبرز الحور العين حتى يشرفن على شرف الجنة ، فينادين: هل من خاطب إلى الله فيزوجه ؟

ثم يقلن: يارضوان الجنة : ما هذه الليلة ؟

فيجبهن بالتلبية ، ثم يقول: ياخيرات حسان ، هذه أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنة على الصائمين من أمة محمد -ﷺ- [١] .

الشرح والتحليل

بدأ الحديث الشريف بوصف بيئة الجنة ، وزينتها فى شهر رمضان، حيث البيئة الموسيقية الهادئة ذات الإيقاع البديع الذى لم تسمع الآذان مثله والذى يتمثل فى أنغام الرياح المثيرة ، وتصفيق ورق الشجر ، وطنين حلق الأبواب ؛ مما أعطى بيئة رومانسية طبعية هادئة تحلق فى أجوائها عواطف الحب ومشاعره وأحاسيسه ، فتحيا حياة رومانسية رفيعة يتمناها كل زوج وزوجة بلا آلام ولا أسقام .

وقد أحس الحور العين بهذه البيئة الرومانسية الهادئة التى تناسب العشاق ، فأخذن ينادين على عشاقهن من المؤمنين بعد أن صعدن على أعلى منافذ الجنة: " هل من خاطب إلى الله فيزوجه ؟ " [٢]

أى: من أراد خطبتهن والزواج منهن ؛ ليتمتع بهن فى هذه البيئة الممتعة ؛ فليتقرب إلى الله بالعمل الصالح ليزوجه منهن .

وبعد أن أدرك الحور العين زينة الجنة فى هذه الليلة ونعيمها الزائد وبيئتها الموسيقية الهادئة يسألن عن سر تلك الليلة المباركة التى تزينت لها

---

(١) شعب الإيمان للبيهقى ، تحقيق / محمد زغلول ٣/٣٣٥ ، ط الأولى ١٤١٠هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٢) شعب الإيمان ٣/٣٣٥ .

الجنة بهذه الصورة الرائعة ، فيقلن: " يارضوان الجنة: ما هذه الليلة ؟ " . (١)

وفى إضافة سيدنا رضوان – على نبينا وعليه السلام – إلى الجنة إضافة تشريف وعمل ؛ لأنه موكل بشئون الجنة ؛ ومن ثم هن يسألنه عن سر زينة الجنة فى هذه الليلة ، فيجيبهن بالتلبية أى يقول لهن: لبيَّكن ؛ ليدل على حسن منطقه ، وجمال حديثه معهن ، وسعادته بسؤالهن ، ولا عجب فى ذلك ، فهو رضوان الجنة .

وبعد ذلك يجيبهن على سؤالهن فيقول لهن: " ياخيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان ، فتحت أبواب الجنة على الصائمين من أمة محمد – ﷺ – " (٢) .

وترى الأدب المتبادل بين سيدنا رضوان – على نبينا وعلى السلام– وبين الحور العين ، فبعد تلبيته لهن يناديهن بقوله: ياخيرات حسان ، ولا عجب ، فهن خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه ، وفيه تشويق إلى الجنة وحورها .

وبعد ذلك يشير إلى أن هذه الليلة هى أول ليالى شهر رمضان الذى تفتح فيه أبواب الجنة على الصائمين من الأمة الإسلامية ، فيسمع لحلق هذه الأبواب طنين موسيقى بديع ، فضلا عن تصفيق ورق الشجر الذى تثيره

(١) شعب الإيمان ٣/٣٣٥ .
(٢) المرجع السابق ٣/٣٣٥ .

الرياح المثيرة مع زينة الجنة واستعدادها للصائمين ؛ مما يدل على القيمة الرفيعة لشهر الصيام والتى كشفها حوار الحور العين مع رضوان الجنة .

ويؤيد الحديث السابق ما رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس قال: قال رسول الله – ﷺ – : " إن الجنة لتزين من السنة إلى السنة لشهر رمضان، وإن الحور العين لتتنزين من السنة إلى السنة لشهر رمضان ، فإذا دخل شهر رمضان قالت الجنة: اللهم اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك سكنا ، وتقول الحور العين: اللهم اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجا فمن صان نفسه فى شهر رمضان ، فلم يشرب فيه مسكرا ، ولم يرم فيه مؤمنا بالبهتان ، ولم يعمل فيه خطيئة زوجه الله كل ليلة مائة حوراء ، وبنى له قصرًا فى الجنة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ... " [١] .

وهذا الحديث يدل على أن التزين والاستعداد لهذا الشهر المبارك لا يكون من الجنة فقط ، بل إن الحور العين كذلك يتزين زينة خاصة ؛ استعدادًا لهذا الشهر ، ويقلن: " اللهم اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجا " [٢] .

فهن ينظرن إلى الصائمين وإلى حب الله لهم ، فيشتقن إليهم ، ويطلبن من الله – تعالى – أن يكونوا أزواجًا لهن .

ويؤكد ذلك ما رواه الطبرانى فى المعجم الصغير عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله – ﷺ – : " ما من عبد يصبح صائمًا

---

(١) المعجم الأولسط للطبرانى ، تحقيق/ طارق الحسينى ٤/٩٠ ، ط ١٤١٥هـ – دار الحرمين – القاهرة .

(٢) المرجع السابق ٤/٩٠.

إلا فتحت له أبواب السماء ، وسبحت له أعضاؤه ، واستغفر له أهل السماء الدنيا إلى أن توارى بالحجاب ، فإن صلى ركعة أو ركعتين تطوعًا أضاءت له السموات نورا ، وقلن أزواجه من الحور العين: اللهم اقبضه إلينا فقد اشتقنا إلى رؤيته ، فإن هو هلل ، أو سبح ، أو كبر تلقته ملائكة يكتبونها إلى أن توارى بالحجاب " [١] .

فتأمل قول أزواجه من الحور العين: " اللهم اقبضه إلينا ، فقد اشتقنا إلى رؤيته " [٢] .

والمعنى: اللهم اقبض روحه إلينا ؛ لنتمتع به ، ويتمتع بنا فى نعيم الجنة ، فقد حنت قلوبنا إليه ، واشتقنا إلى رؤيته ، وما ذاك إلا لحب الله – تعالى – له بعد أن أمسك بطنه وفرجه عن الطعام والشراب ، والنكاح ، وأخضع جوارحه للركوع والسجود لله – تعالى – وتحميده ، وتسبيحه ، وتنزيهه – جل وعلا – عن كل نقص .

٤- الحور العين والجهاد فى سبيل الله

لا شك أن الجهاد فى سبيل الله من أهم الأعمال التى توصل إلى رضا الله – تعالى – والجنة ؛ ولذا ترى للحور العين مواقف مهمة مع المجاهدين فى سبيل الله .

---

(١) المعجم الصغير للطبرانى ، تحقيق/محمد شكور محمود ٩٢/٢ ، ط الأولى ١٤٠٥هـ ، المكتب الإسلامى – بيروت ، شعب الإيمان للبيهقى ٢١٢/٥ .

(٢) المعجم الصغير للطبرانى ٩٢/٢ .

روى عبد الرزَّاق اليمانى فى مصنفه عن عبد الله بن عمير قال فى حديثه عن الجهاد : " إذا التقى الصفان أهبطت الحور العين إلى سماء الدنيا فإذا رأين الرجل يرضين مقدمه قلن: اللهم ثبته ، وإن نكص احتجبن عنه ، فإن هو قتل نزلتا إليه ، فمسحتا التراب عن وجهه ، وقلن: اللهم عفِّر من عفَّره ، وترِّب من ترَّبه " (١) .

الشرح والتحليل

إذا التقى المسلمون والمشركون فى ساحة القتال هبطت الحور العين من الجنة إلى سماء الدنيا ؛ لينظرن إلى شجاعة المؤمنين فى جهادهم ضد المشركين ؛ حيث يظهر لهن المؤمن القوى من الضعيف ، فإذا رأين المؤمن القوى وارتضين جرأته وتقدمه فى ساحة القتال ، وسعيه إلى الآخرة والجنة بدأ دعاؤهن له ، فقلن: اللهم ثبته ، أى: اللهم ثبته فى جرأته وتقدمه على المشركين وقتله لهم ، وإن نكص احتجبن عنه ؛ أى: وإن رجع وخاف من الموت وركن إلى الدنيا ، احتجبن عنه ، فصار لا يشغلهن أمره .

فإن تقدم وقتل فى سبيل الله ، نزلتا إليه ، فمسحتا التراب عن وجهه يريد: زوجتاه من الحور العين .

وبعد ذلك يدعون على من قتله ، فيقلن: " اللهم عفر من عفره ، وترب من تربه " (٢) .

---

(١) المصنف لأبى بكر عبد الرزاق بن همام اليمانى الصنعانى ، تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمى ٢٥٨/٥ ، ط الثانية ١٤٠٣هـ ، المكتب الإسلامى – بيروت .

(٢) المصنف لأبى بكر عبد الرزاق اليمانى ٢٥٨/٥ .

أى: اللهم عفر من عفر وجهه بالتراب ، وترب من تربه ؛ ليهينه ويطرحه على الأرض .

ومن العجيب أنهن لا يؤذيهن قتل المؤمن كما يؤذيهن تعفير وجهه بالتراب ؛ لأن قتله فى سبيل الله فيه خير كبير ، فهو سبب فى دخوله الجنة وتمتعه بالحور العين وتمتعهن به ؛ ومن ثم فوجه هذا الشهيد أكرم من أن يعفر أو يترب بالتراب ، وكذا جميع جسده ؛ ولذا فهن يدعين على من تربه وعفره .

وبعد انشغال الحور العين بآلام هذا الشهيد ، وتعفير جسده بالتراب فى ساحة القتال ، ودعائهن على من قتله ، تراهن ينتقلن إلى الأهم ، فيبشرنه بما أعده الله – تعالى – له من نعيم الجنة .

روى ابن منصور فى سننه عن يزيد بن شجرة [1] قال: قال رسول الله – ﷺ – : " ما تقدم عبد خطوة فى سبيل الله إلا اطلع عليه الحور العين ، فإن تأخر استترن منه ، فإن قتل كانت أول قطرة تقطر من دمه كفارة لخطاياه ، وتأتيه اثنتان من الحور العين مع كل واحدة سبعون حلة لا يجاوز بين

(١) هو الصحابى الجليل يزيد بن شجرة الرهاوى شامى من مذحج ، روى عنه مجاهد ابن جبر ، بعثه معاوية فى بعثة الحج سنة ٣٩هـ ، قتل فى بعض الغزوات شهيدًا سنة ٥٨هـ ، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٤٦/٧ ، ط دار صادر ، الأعلام للزركلى ٨١٨٤ .

أصبعها تنفضان عنه التراب ، وتقولان: مرحبا قد آن لك ، ويقول : مرحبًا قد آن لكما " [١] .

فبعد أن يمسحن التراب عن جسده يرحبن به ويقلن له: " مرحبًا قد آن لك " [٢] .

والمعنى: مرحبًا بك فى هذه الدار الباقية بجناتها العالية ، وقطوفها الدانية ، فقد آن لك أن تأكل من ثمارها ، وتنعم بنعيمها ، كما آن لك أن تتمتع وتتلذذ بنا فى قصورها العالية فوق أنهارها الجارية .

وبعد أن يفرح بهذه البشرى ، ويطمئن قلبه لها يرد عليهما بقوله: " مرحبًا قد آن لكما " [٣] .

والمعنى: وقد آن لكما أيضا أن تتمتعن فى قصور هذه الجنة بين يدى زوج طاهر تقى نقى ، قد جمَّله الله – تعالى – وقواه لكما ، كما جملكما له ، وألهمه حلاوة الكلام وعذوبة المنطق ، كما ألهمكما؛ ليتلذذ بعضكم ببعض فى قصور هذه الجنة العالية ، وخيامها اللؤلؤية الغالية .

---

(١) سنن سعيد بن منصور الخرسانى الجوزجانى ، تحقيق/ حبيب الأعظمى ٢٥٨/٢ ، ط الأولى ١٤٠٣هـ- الدار السلفية – الهند .

(٢) سنن سعيد بن منصور الجوزجانى ٢٥٨/٢ .

(٣) المصدر السابق ٢٥٨/٢ .

٥- الحور العين وأحاديث الطرب والغناء

لا شك أن الطرب والغناء من الأمور التى تشتهيها النفس ، وقد حرمها الإسلام فى الدنيا إذا لهت عن ذكر الله – تعالى – ، ولا سيما إذا كانت بكلام مكذوب ، أو فاحش .

وقد أبدل الله المؤمنين عن هذا الغناء الفاحش بغناء الحور العين فى الجنة ، ذلك الغناء الذى لم يله عن ذكر الله ، وقد نقاه الله – تعالى – من الكذب ، والفحش والمجون ، ومن ثم فلم يأت إلا بخير ومتعة .

روى أنس بن مالك – ﷺ – عن النبى – ﷺ – قال: " إن الحور العين ليغنين فى الجنة يقلن: " نحن الحور الحسان خلقن لأزواج كرام ... " [١] .

الشرح والتحليل

جاء ذكر غناء الحور العين صراحة فى الحديث السابق ، وغناؤهن بلا صخب ولا ثرثرة ، بل يغنين بصوت نقى يخرج من قلب تقى، فيجمع بين رقة القلب ، وعذوبة المنطق ، وحلاوة اللسان ، وحسن الأداء ، وجمال المعنى ، ومن ثم فلم تسمع الآذان مثل غنائهن .

ولا عجب فى ذلك فقد حباهن الله – تعالى – بسعة العيون مع شدة بياض أطرافها مع زهاء لون ولدها ، كما حباهن بجمال الخلق والخلق ، ولذا يتحدثن بنعم الله – تعالى – عليهن ، فيقلن : نحن الحور الحسان ، وبعد ذلك ينتقلن إلى مدح أزواجهن ، فيقلن " خلقن لأزواج كرام " .

---

(١) كنز العمال فى سن الأقوال والأفعال ٥١٨/١٤ ، ط مؤسسة الرسالة .

والمعنى: خلقهن الله – تعالى – وجملهن فى أحسن صورة ؛ ليثيب بهن عباده الطاهرين الكرام على ما قدموا من حسن الطاعة ، والعبادة ، والإخلاص لله الخالق المعبود – جل وعلا – فهم كرام الخَلق والخُلق .

وكلام الحور العين حُق لا كذب فيه ، ولا مبالغة ؛ لأنهن فى دار الحق ، وقد تغنين بحسنهن وجمالهن قبل أن يتغنين بكرامة أزواجهن عند ربهم ؛ لأن ثمرة حسنهن وجمالهن ستعود على أزواجهن فهم الممتعون بجمالهن وحسنهن .

ولا شك أن هذا الكلام تطمئن له النفس ، ويرتاح له القلب ، ويلتذ به العقل ، وتأنس له الأذن ، وتطرب له الروح .

والمرأة إذا استشعرت بجمالها وأحست به ، زادت جمالًا فوق جمالها فإذا أعربت عن هذا الجمال وتغنت به أمام زوجها ، هفت نفسه لها ، وزاد شوقه إليها ، فيتمتع بها أيَّما متاع .

وفى حديث الطبرانى عن أم سلمة – رضى الله عنها – أن النبى – ﷺ – قال فى وصف الحور العين: " ألبس الله – عز وجل – وجوههن النور، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحُللِّ ، مجامرهن الدر ، وأمشاطهن الذهب ، يقلن : " نحن الخالدات فلا نموت أبدًا !

ألا ، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدًا !

ألا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا !

ألا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا !

طوبى لمن كنا له وكان لنا ! " [١] .

بعد أن تحدث – صلى الله عليه وسلم – عن نور وجوههن ، وبياض ونعومة أجسادهن ، وجمال لباسهن ، وحليهن ، نقل لنا إحساسهن بجمالهن؛ حيث يتغنين به ويقلن " نحن الخالدات فلا نموت أبدًا " [٢] .

وهذه سمة تميزهن عن نساء أهل الدنيا ، فهن بعد خلقهن فى عالم الدنيا يمتن إذا انقضت آجالهن ؛ لينتقلن إلى عالم الآخرة ، بخلاف الحور العين ، فهن منذ أن تولى الله – تعالى – خلقهن أخذ فى تربيتهن وتجميلهن وتحليتهن دون أن يكتب الموت عليهن .

وهذه بشرى لأزواجهن ؛ لأن الموت أعدى أعداء المحبين ، فكم من محبين قد فرق الموت بينهما ، فصار شراب الحب عندهما ملحا أجاجا بعد أن كان عذبًا فراتا ، وهذا شأن كل حب لغير الله ، بخلاف الحب فى الله فهو دائم الاتصال فى الدنيا والآخرة .

وبعد ذلك يقلن : " ألا ، ونحن الناعمات فلا نبؤس [٣] أبدًا ! " [٤] .

وألا : أداة تنبيه ، أى: تنبه أيها المؤمن المحب ، فنحن بحق ناعمات الوجوه ، والشعور ، والأجساد ؛ نعومة كاملة طبعية ، دائمة أبدًا بأمر الله – تعالى – فينا دون أن يلحقها أى ضرر يذهب بجمالها .

---

(١) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ ، ط دار الحرمين – القاهرة .

(٢) المعجم الأوسط ٢٧٨/٣ .

(٣) البؤس: الضر ، المصباح المنير ٦٥/١ .

(٤) المعجم الأوسط ٢٧٨/٣ .

ثم يقلن : " ألا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا " (١) .

أى: تنبه أيضًا ، فنحن المقيمات فى هذه الجنان المتنعمات بنعيمها أبد الآبدين دون أن نترك هذا النعيم أو يتركنا .

وبعد ذلك يتغنين بقناعتهن ، فيقلن: " ألا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا ! " (٢) .

فإن قيل: كيف لا يرضين بعد هذه النعم الكثيرة التى أعدها الله لهن؟ قلت: لعل المراد أن كل حوراء ترضى بزوجها الذى خلقت من أجله، فلا تنظر إلى غيره أبدًا وإن كان أجمل منه وأرفع لكثرة عمله الصالح ، فتقصر بصرها على زوجها ، قال – تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٣) .

ومن هنا يسود الطهر والعفاف ، والطمأنينة والأمان والاستقرار فى دار القرار .

وفى نهاية هذا الحديث الشريف يتغنين بقولهن: " طوبى لمن كنا له وكان لنا ! " (٤) .

أى: إذا كنا نعيش هذه العيشة الناعمة الدائمة بأخلاق عظيمة لا تتغير أبدًا ، فطاب عيش من كنا له من أزواجنا ، وكان لنا ، فتمتع بجمالنا

(١) المعجم الأوسط ٢٧٨/٣ .
(٢) المرجع السابق ٢٧٨/٣ .
(٣) آية ٥٦ من سورة الرحمن .
(٤) المعجم الأوسط ٢٧٨/٣ .

ورقتنا ، وحسن أخلاقنا ، وتمتعنا بجماله ، وقوته ، وحسن أدبه فى دار النعيم الجنانية التى لا يفنى نعيمها أبدا ولا يزول .

٦- قصص متفرقة للحور العين مع أزواجهن

وردت بعض المقطوعات القصصية النثرية اليسيرة التى تدل على اطلاع الحور العين على عشاقهن من المؤمنين ، وإرسال البشرى لهم ، وتدخلهن فى شفاء بعضهم وهم فى عالم الدنيا ؛ مما يدل على الوصل والتواصل بين الحور العين ، وعشاقهن ، وهاك أهم هذه المقطوعات .

أ- حوراء الخليفة المظلوم :

روى الطبرانى فى المعجم الكبير عن أوس بن أوس الثقفى قال: قال رسول الله – ﷺ – : " بينا أنا جالس إذ جاءنى جبريل – على نبينا وعليه السلام – فحملنى فأدخلنى جنة ربى – عز وجل – فبينا أنا جالس إذ جعلت فى يدى تفاحة فانفلقت التفاحة بنصفين فخرجت منها جارية لم أر جارية أحسن منها حسنًا ، ولا أجمل منها جمالًا ، تسبح تسبيحًا لم يسمع الأولون والآخرون بمثله ، فقلت: من أنت ياجارية ؟ قالت: أنا من الحور العين خلقنى الله – عز وجل – من نور عرشه ، فقلت: لمن أنت ؟ قالت: للخليفة المظلوم عثمان بن عفان – ﷺ – " (١) .

الشرح والتحليل

(١) المعجم الكبير للطبرانى ، تحقيق / حمدى عبد المجيد السلفى ٢١٩/١ ، ط الثانية ١٤٠٤هـ ، الموصل .

يُعدُّ هذا الحديث الشريف من الأحاديث المهمة التى أفصحت عن مدى أهمية أدب الحور العين حتى يروى رسول الله – ﷺ – حديثهن وحوارهن بطريق أمين الوحى جبريل – على نبينا وعليه السلام – بوحى من الله – تعالى ؛ لترسل حوراء العيون بشراها إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان – ﷺ – فتخبره بأنها ستكون زوجته فى الجنة بعد ظلم الناس له فى الدنيا .

ومن العجيب أن سيدنا عثمان – ﷺ – عند رواية هذا الحديث لم يكن قد وقع عليه الظلم إلى أن تولى الخلافة ، وثار الناس عليه ظلما وعدوانا ، وتحلق داره الثائرون عليه من مصر ، والكوفة ، والبصرة ، ثم اقتحموها عليه وقتلوه سنة ٣٤هـ [١] .

وهذا يعد من معجزات رسول الله – ﷺ – ؛ حيث أخبر عن ظلم سيدنا عثمان بن عفان – ﷺ – قبل ظلم الثائرين عليه بسنين كثيرة ، كما يدل على الصدق الواقعى لأدب الحور العين ؛ حيث جاءت هذه الواقعة ؛ ليستشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ ويصير الخليفة المظلوم كما أخبرت زوجته حوراء العيون .

ويبدو أن هذا الظلم الشديد الذى وقع عليه – ﷺ – كان مهرًا لهذه الحوراء التى ليست كسائر نساء الحور العين .

ولا أدل على ذلك من قصة خلقها ، وثناء النبى – ﷺ – على حسنها وجمالها ، يقول النبى – ﷺ – : " بينا أنا جالس إذ جاءنى جبريل فحملنى

(١) دراسات أدبية فى عصر صدر الإسلام والدولة الأموية للأستاذ الدكتور/ عيد قناوى ، ص٧٠ ، ط الثانية ١٤٣٠هـ ، مطبعة الأمل – أسيوط .

فأدخلنى جنة ربى – عز وجل – فبينا أنا جالس إذ جعلت فى يدى تفاحة فانفلقت التفاحة بنصفين ، فخرجت منها جارية لم أر جارية أحسن منها حسنا ، ولا أجمل منها جمالًا ، تسبح تسبيحًا لم يسمع الأولون والآخرون بمثله ... " [١] .

وخروج هذه الحوراء من بين فلقتى التفاحة يوحى بأن جمالها مروح بروائح التفاح الجميلة العطرية ، وليس ببعيد أن يكون لون بشرتها كلون التفاح فى صفائه المشرب بالحمرة والاصفرار مع طيب رائحته ؛ ولذا قال رسول الله ﷺ فى حسنها وجمالها: " لم أر جارية " أحسن منها حسنا ، ولا أجمل منها جمالًا ، تسبح تسبيحا لم يسمع الأولون والآخرون بمثله " [٢] .

وفى تسبيحها لله – تعالى – دلالة على عدم غرورها بجمالها ، فلم تنس الذى خلقها وجمَّلها ؛ ليتمتع بها هذا الخليفة الصالح الذى سيصبر على بلاء ربه .

وبعد ذلك يحكى رسول الله – ﷺ – حواره معها فيقول: " فقلت: من أنت يا جارية ؟

قالت: أنا من الحور العين خلقنى الله – عز وجل – من نور عرشه، فقلت: لمن أنت ؟

(١) المعجم الكبير للطبرانى ، تحقيق / حمدى السلفى ٢١٩/١ ، ط الموصل .
(٢) المصدر السابق ٢١٩/١ .

قالت : للخليفة المظلوم عثمان بن عفان – ﷺ – " [١] .

ومن الملاحظ أن حوراء العيون قد أطالت فى الحوار ، وبسطت فى حديثها مع النبى – ﷺ – فكان يكفيها أن تقول: أنا من الحور العين ، لكنها أشارت إلى خلق الله – تعالى – لها من نور عرشه دون أن يسألها النبى – ﷺ – عن ذلك ولما قال لها: لمن أنت ؟ كان يكفيها أن تقول: لعثمان بن عفان ، لكنها قالت: للخليفة المظلوم عثمان بن عفان – ﷺ – .

ويبدو أن هذه الحوراء تدرى بقيمة الحوار مع أشرف خلق الله أجمعين ، فأطالت فى الحديث معه ، كما تدرى بصحبته للخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان – ﷺ – ، فأرادت أن ترسل البشرى إليه على لسان رسول الله – ﷺ – الذى لا ينطق عن الهوى .

وقد أشارت – فى بداية الأمر – إلى خلقها من نور عرش الرحمن؛ لتدل على أن الله – تعالى – قد جملها جمالًا خاصًا نابعًا من جمال نور عرشى – جل وعلا – ففاقت به بقية أنواع الحور العين فى جمالهن وحسنهن .

ولا يتعارض ذلك مع ما ذكرته آنفا من خلق الحور العين من الزعفران ، وهو صبغ طيب الرائحة [٢] لأن خروج حوراء العيون من بين فلقتى التفاحة يدل على أنها قد صبغت فى خلقها بروائح التفاح الجميلة العطرية ، فضلًا

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٢١٩/١.

(٢) ينظر: ص ٢٤٣٨ من البحث .

عن ما ميزها الله – تعالى به من الجمال النابع من نور عرشه – جل وعلا – ؛ تكريمًا لها من أجله .

وبعد ذلك تشير إلى مهر حسنها وجمالها الخارق الذى استحقها به الخليفة الراشد ، ألا وهو الظلم الكبير الذى سيتعرض له الخليفة من قبل رعيته ، والذى سيصبر عليه حتى يموت شهيدًا ؛ ولذا لما قال لها النبى – ﷺ – : " لمن أنت ؟ " .

قالت : للخليفة المظلوم عثمان بن عفان – ﷺ – " [1] .

وهى تلمح بظلمه الذى سيتعرض له ، وتبشره بحسن ثواب صبره على هذا الظلم ، فكفاه أن الله – تعالى – قد رضى عنه ، وأعد له هذه الحوراء الفائقة الجمال ؛ ليتمتع بها فى جنة عالية قطوفها دانية .

وقد تحققت إشارتها بعد ذلك ، فاقتحم الثائرون عليه داره وقتلوه ؛ ليموت شهيدًا مظلومًا كما ذكرت قبل ذلك [2] .

وهذا جزاء كل خليفة عادل راشد يموت شهيدًا بإساءة رعيته إليه بعد إحسانه إليها ، فيرضى الله – تعالى – عنه ، ويخلق له مثل هذه الحوراء الفائقة الجمال ؛ ليتمتع بها فى جنة عالية قطوفها دانية كما أخبر رسول الله – ﷺ – فى حق سيدنا عثمان بن عفان – ﷺ – والله أعلم .

---

(١) المعجم الكبير ، تحقيق / حمدى السلفى ٢١٩/١ ، ط الموصل .

(٢) ينظر: ص ٥٢ من البحث .

ب- عبد الواحد بن زيد وشفائه على يد حوراء العيون

روى ابن أبى الدنيا عن محمد بن الحسين عن حكيم بن جعفر عن حبان الأسود عن عبد الواحد بن زيد [١] قال: أصابتنى علة فى ساقى ، فكنت أتحامل عليها للصلاة ، قال: فقمت عليها من الليل فأجهدت وجعًا ، فجلست ثم لففت إزارى فى محرابى ووضعت رأسى عليه فبينا أنا كذلك إذا جارية تفوق الدمى حسنا تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت على وهن خلفها ، فقالت لبعضهن: ارفعنه ولا تهجنه [٢] ، قال: فأقبلن نحوى فاحتملننى عن الأرض وأنا أنظر إليهن فى منامى ثم قالت لغيرهن من الجوارى الذين معها: افرشنه ، ومهدنه ، ووطئن له ، ووسدنه [٣] ، قال: ففرشن تحتى سبع حشايا لم أر لهن فى الدنيا مثلا ، ووضعن تحت رأسى مرافق حصرا حسانا ثم قالت للائى حملننى : اجعلنه على الفرش رويدًا لا تهجنه ، قال: فجعلت على تلك الفرش وأنا أنظر إليها وما تأمر به من شأنى ، ثم قالت: احففنه بالريحان قال: فأتى بياسمين فحفت به الفرش ثم قامت إلى فوضعت يدها على موضع علتى التى

---

(١) هو: القاضى عبد الواحد بن زيدكان من عباد السلف الصالح الزاهدين والواعظين ، وله حكم رفيعة فى الزهد والورع ، صلى الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة ، روى عن مالك بن دينار ، وروى عنه الفضيل بن عياض أبو سليمان الدارانى وغيرهم ، ينظر: الحلية ١٥٥/٦ ، ١٥٨ ، صفة الصفوة لابن الجوزى ٢٦٧/٣ ، ط الثانية ١٣٩٩هـ ، دار المعرفة – بيروت .

(٢) الهُجنة: العيب والقبح ، المصباح المنير ٦٣٥/٢ .

(٣) وسدنه: ضع الوسادة تحته ، وهى ما يتوسد به من القماش ، وهى المِخَدَّة ، انظر: المصباح المنير ٦٥٨/٢ .

كنت أجد فى ساقى فمسحت ذلك المكان بيدها ثم قالت: قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور، قال فاستيقظت والله وكأنى أنشطت من عقال ، فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتى تلك ولا ذهب حلاوة منطقها من قلبى ، قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور " (١) .

يبدو أن هذه الجارية هى حوراء العيون التى كانت توقظ عبد الواحد ابن زيد إذانام عن قيام الليل ؛ حتى أخذ على نفسه أن لا ينام من الليل فكانت تراسله فى أبياتها الشعرية كما ذكر الأصبهانى فى الحلية (٢) .

وقد تأثر ابن زيد بجمال هذه الجارية ونصائحها الشديدة ، فأجهد نفسه فى قيام الليل ؛ حتى أصابته علةٌ فى ساقه ، ومع ذلك لم يترك قيام الليل بل كان يتحامل على ساقه يسيرًا ، فأتبعه ذلك ، فلف إزاره ووضعه فى محرابه وتوسده ونام ، وأتته هذه الجارية ومعها جوارٍ فى أبهى زينتهن ؛ ليتدخلن فى علاجه ، فقالت لبعضهن: " ارفعنه ولا تهجنة " (٣) ، أى: ارفعنه عن الأرض بطريقة معتدلة لا تشينه ، فرفعنه معتدلًا ، وقالت للأخريات: " افرشنه ، ومهدنه ، ووطئن له ، ووسدنه " (٤) .

أى: افرشن من تحته ؛ استعداد وتوطئة لقدومه وراحته ، ففرشن تحته سبعا من الفرش الجميلة ، ووضعن تحت رأسه الوسائد الحسان .

---

(١) التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا ٣٢١/١ ، ط الأولى ١٩٩٨م .

(٢) ينظر: حلية الأولياء ١٥٨/٦ .

(٣) التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا ٣٢١/١ ، ط الأولى ١٩٩٨م .

(٤) التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا ٣٢١/١ .

ثم قالت للائى رفعنه : " اجعلنه على الفرش رويدًا لا تهجنه "[١] .

أى: ضعنه على هذه الفرش الجميلة فى رفق ولين واعتدال .

وأمرت بتعطيره وترويحه ، فحفت الفرش بالياسمين ، ثم وضعت يدها الشريفة على موضع علته التى كانت فى ساقه وقالت:

" قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور " [٢] .

ودعاؤها حق مستجاب ؛ لأنها تنطق بوحى من الله – تعالى –؛ ولذا يقول ابن زيد: " فاستيقظت وكأنى أنشطت من عقال ، فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتى تلك ، ولا ذهب حلاوة منطقها من قلبى ، قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور " [٣] .

وهذا يدل على حب حوراء العيون له ، واشنغالها بألمه ، وتدخلها فى شفائه .

ج- حوراء العيون وسهل العراقى

روى بن أبى الدنيا عن أبى بكر عن الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبى الحوارى عن أبى سليمان قال: " كان شاب بالعراق سعيدا ، فخرج مع رفيق له إلى مكة ، فكان إن نزلوا فهو يصلى ، وإن أكلوا فهو صائم

(١) المرجع السابق ٣٢١/١ .
(٢) المرجع السابق ٣٢١/١ .
(٣) المرجع السابق ٣٢١/١ .

، فصبر عليه ذاهبا وآتيا ، فلما أراد أن يفارقه قال: يا أخى أخبرنى: ما الذى هيجك لما رأيت ؟

قال: أريت فى منامى قصرًا من قصور الجنة ، فإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، فلما تم البناء إذا شرفة من زبرجد ، وشرفة من ياقوت وبينهما حوراء من الحور العين مرخية شعرها ، عليها ثوب من فضة ، ينثنى معها كلما تثنت .

فقالت: يا سهل ، جد إلى الله فى طلبى ، فقد – والله – جددت إليه فى طلبك ، فهذا الاجتهاد الذى كنت تراه فى طلبها " [1] .

الشرح والتحليل

يبدو أن الشاب العراقى السعيد هو: سهل العراقى الذى حاورته حوراء العيون باسمه فى نهاية القصة ، وهو بطل هذه القصة ، وقد سار مع رفيقه إلى مكة ، فرأى رفيقه منه العجب العجاب ، فلم يأنس به فى كلام إلا قليلا ، فإن نزلوا فهو يصلى ، كما لم يأنس به فى طعام أو شراب، فإن أكلوا فهو صائم .

وقد اصطبر عليه فى ذهابه وإيابه ، فلما همَّ لمفارقته قال له رفيقه: يا أخى فى الله ! ما الذى حركك إلى كثرة الصلاة والصيام بهذه الصورة ؟

فقال سهل لرفيقه: إن الله – تعالى – قد أراه فى منامه قصرًا من قصور الجنة لبناته من ذهب وفضة ، ونوافذه من ياقوت ، وزبرجد ، وقد

(١) المنامات لابن أبى الدنيا ، تحقيق/ عبد القادر عطا ١٣٨/١ ، ١٣٩ .

برزت له من بين نوافذ هذا القصر حوراء العيون يتدلى شعرها على جسدها فى نعومة وجمال .

وقد أقبلت عليه هذه الحوراء وهى ترتدى ثوبًا من فضة ، ينثنى معها كلما تثنت .

فإن قيل: كيف كانت ترتدى ثوبًا من الفضة ، والله – تعالى – يقول فى لباس أهل الجنة : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (١) .

قلت: ربما كان هذا الثوب من الحرير المرصَّع بالفضة ؛ للزِّينة والجمال وربما كان هذا الثوب فى بداية نشأته من الفضة ، وقد أرادت حوراء العيون أن تبرز جمال أنوثتها لمحبوبها سهل العراقى ، فأتته مرتدية هذا الثياب الفضى اللامع الذى يتراقص بتراقصها ، ولا أدل على ذلك من إقبالها عليها مرخية شعرها يتدلى على جسدها كما ذكر راوى القصة .

(١) آية ٢٣ من سورة الحج .

كما أن ثوبها الفضى اللامع ينثنى معها كلما تثنت ؛ مما يوحى بتراقصه معها ، وخضوعه لرغبتها فى جميع حركاتها ، وهى صورة ترفيهية لم ترها عيون قط فى عالم الدنيا .

وبعد ذلك يحكى سهل العراقى لرفيقه حوار هذه الحوراء معه فيقول: فقالت: " يا سهل ، جد إلى الله فى طلبى ، فقد (والله) جددت إليه فى طلبك " (١)

وندواؤها باسمه يدل على معرفتها به ، وانشغالها بحبه وحاله مع ربه ؛ ولذا فهى تأمره بالجد والاجتهاد فى طلبها ، ولا يكون ذلك إلا بكثرة صلاته ، وصيامه ، وحسن عبادته لربه ؛ لأن الله – تعالى – هو خالقها ، وولى زواجها ممن يستحقها من المؤمنين فى الجنة ، فإن أراد خطبتها فليطليها من الله – تعالى – بحسن عبادته وشكر نعمائه .

وبعد ذلك تعرب عن حبها لسهل ، فتقسم له بالله – تعالى – أنها جدت واجتهدت إلى الله فى طلبه .

واجتهادها إلى الله فى طلبه ، بكثرة دعائها له ، ليحسن الله حاله ويجعله من المؤمنين الصالحين ، كما يسبدو لى (والله أعلم) أنها دعت الله – تعالى – بأن يراها سهل فى منامه ويتأثر بجمالها وحسن حوارها فتكون سببا فى صلاح حاله وحسن طاعته لربه ، وقد استجاب الله – تعالى – لدعائها ، فنجحت فى أداء رسالتها الهادفة إلى محبوبها سهل الذى ترك اللغو ، واللهو ، والطعام والشراب إلا ما يكفى لحياته ، وانشغل بكثرة الصلاة

(١) المنامات لابن أبى الدنيا ١٣٩/١ .

والصيام ، وحسن العبادة لله رب العالمين ؛ طلبا لهذه الحوراء التى افتتن بجمالها ، وأنوثتها ، وحسن كلامها ؛ ولذا فهو يقول لرفيقه فى نهاية القصة : فهذا الاجتهاد الذى كنت تراه فى طلبها .

الفصل الثالث

أهم الخصائص الفنية لنثر الحور العين

امتاز نثر الحور العين بكثير من السمات والخصائص الفنية التى لا توجد فى غيره ، ولا عجب فى ذلك فهو نثر يربط بين عالمين ، هما: عالم الدنيا ، وعالم الآخرة ، وقد اختار من عالم الدنيا رجالها الأتقياء المؤمنين الذين تجلى الله عليهم بمحبته ورضوانه ، واختار من عالم الآخرة نساءها الجميلات الحور العين اللائى تولى الله – تعالى – خلقهن فى أجمل صورة وأحسن تقويم ؛ ليتمتع بهن عباده المؤمنين فى روضات وقصور الجنان العالية .

وقد كان أدب الحور العين – بوجه عام – بمثابة النافذة التى ينظر منها هؤلاء الحور إلى أزواجهن المؤمنين ، ويتفقدن أحوال عبادتهم لربهم ويدعونهم إلى الزهد فى دار الفناء ، والتعلق بدار القرار ، ويعربن عن شوقهن لهم ؛ حتى يجتهدوا فى عبادتهم لربهم .

ونثر الحور العين أدب نابع من نفوس تمتعت بظلال الجنة وثمارها وقصورها ونعيمها ، كما تمتعت بحب ربها وتمام معرفته .

وقد طبع نثر الحور العين بطابع الحق ، والصدق الفنى والخلقى ؛ لأنهن فى دار الحق فلا ينطقن إلا بحق ، واكتسب هذا الأدب مشروعية الوحى ؛ لأن كلام الحور العين ورؤياهن لا يكون إلا بوحى من الله – تعالى – وكذا إخبار رسول الله – ﷺ – عن كلامهن لا يكون إلا بوحى من الله –تعالى – ؛

لأنه – جل وعلا – قال فى كلام النبى– ﷺ – وأفعاله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [1] .

ومن هنا فنثر الحور العين يعد نثرًا معجزًا يأتى فى مرتبة عالية من الفصاحة والبلاغة ، وقد كثرت فيه الاقتباسات من القرآن الكريم ، واشتبهت فيه الموضوعات فى كثير من المعانى والخصائص الفنية كما سيأتى فى المباحث الآتية:

(١) آية رقم ٤ سورة النجم .

المبحث الأول

الأساليب والمعانى فى نثر الحور العين

لا شك أن الأسلوب هو المادة التى تتكون منها اللغات بجميع أجناسها الأدبية ، واللفظ هو وحدة بناء الأسلوب ، ومن ثم فتحليل الأسلوب يقتضى تحليل الألفاظ التى يتكون منها أثناء تحليله ، وإن شئت أقول: إن مقاييس صحة الألفاظ وفصاحتها تعد أيضًا مقاييسًا لصحة الأسلوب ، فدقة الألفاظ تقتضى دقة الأسلوب ، ووضوح الألفاظ تقتضى وضوح الأسلوب ، وكذا جزالة الألفاظ تقتضى جزالة الأسلوب .

والأسلوب فى اللغة بمعنى: الطريق والفن [١] .

وقد عرفه ابن خلدون فقال عن المعنى الدلالى للأسلوب : " إنه عبارة عن المنوال الذى ينسج فيه التراكيب أو القالب الذى يفرغ فيه "[٢].

وقال عنه الدكتور/ أحمد بدوى: الأسلوب : هو الطريقة الخاصة التى يصوغ فيها الكاتب أفكاره ، ويبين بها عن ما يجول فى نفسه من العواطف والانفعالات [٣] .

---

(١) المصباح المنير ١/٢٨٤ .

(٢) علم الأسلوب مبادئه وإجرءاته للدكتور/ صلاح فضل ، ص٨٣ ، ط الأولى ١٤٠٥هـ – منشورات دار الآفاق – بيروت .

(٣) أسس النقد الأدبى عد العرب للدكتور/ أحمد أحمد بدوى ، ص٤٥١ ، ط دار نهضة مصر – الفجالة – القاهرة .

وهذه الطريقة تتضمن الألفاظ ودلالالتها مفردة كما تتضمن الألفاظ ودلالاتها مجتمعة فى تراكيبها التى تؤدى إلى جمل مستقيمة مفيدة .

وإذا كان نثر الحور العين نابعًا من كلام سيد المرسلين ببشرى من رسول الله –ﷺ – فى أحاديثه الشريفة على لسان الحور العين ، أو برؤيا منامية لبعض الصالحين وهى جزء من النبوة كما أخبر رسول الله – ﷺ – ، فلابد وأن تتميز ألفاظ وأساليب هذا النثر بسمات فنية معجزة تليق بنثر الحور العين .

واللفظ والأسلوب يمثل شكل العمل الأدبى الذى لابد له من مضمون يدل عليه ، وهذا المضمون هو المعنى ، ومن ثم تأتى أهمية المعنى بالنسبة للفظ والأسلوب ، فلا خير فى اللفظ إن لم يدل على معنى .

وقد جعل ابن طباطبا العلوى المعنى من اللفظ بمثابة الروح من الجسد فاللفظ كالجسد وروحه معناه [١] .

والجسد الذى لا روح فيه كالهيكل أو التمثال الذى لا حياة فيه ولا نشاط له ، وكذا الألفاظ والأساليب التى لا معانى لها ، فهى كالتماثيل التى يرى لها شكل ، ولا يسمع منها صوت ، ولا يرى لها حس ولا عقل ، فلا تجلب نفعًا ، ولا تكشف ضرًّا .

(١) ينظر: عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ، تحقيق أ/ عباس عبد الستار ، ص١٢٦ ، ط الأولى ١٤٠٢هـ – بيروت – لبنان .

ومن هنا فالمعنى هو الذى يكشف عن حسن الألفاظ والأساليب ، أو قبحها ؛ ومن ثم فلا يمكن الفصل بين اللفظ والأسلوب ، والمعنى ؛ لتمام الارتباط بينهم .

وقد ذكرت أن نثر الحور العين نابع من كلام سيد المرسلين ورؤيا بعض الصالحين ؛ ولذا فلابد وأن يتسم بالسمات النموذجية التى تليق به ، وقد بدت هذه السمات النموذجية فى ألفاظه السلسة اللينة السهلة الواضحة المعانى ؛ حتى لا تكاد تجد كلمة تحتاج إلى الرجوع للقاموس للكشف عن معناها .

وسلاسة الألفاظ وسهولتها ، ووضوحها تؤدى إلى رقة الأسلوب وسلاسته ، ووضح معناه ، وقد بدا ذلك واضحًا فى نثرهن ؛ كما فى حديث الإمام أحمد الذى ذكر فيه دعاء حوراء العيون على من تؤذى زوجها من نساء أهل الدنيا ، فتقول: " ... لا تؤذيه – قاتلك الله – فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا " (١) .

وأيضًا ترى رقة الأسلوب ولينه وسلاسته مع فخامته ووضوح معناه فى حوار الحور العين مع رضوان خازن الجنة ؛ حيث يقلن: " هل من خاطب إلى الله فيزوجه ؟

ثم يقلن: يارضوان الجنة: ما هذه الليلة ؟

(١) شعب الإيمان للبيهقى ٣/٣٣٥ .

فيقول لهن: ياخيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنة على الصائمين من أمة محمد – ﷺ – [١] .

كما ترى هذه الرقة مع السلاسة والفخامة والجزالة المعجزة فى أحاديث الطرب والغناء والتى حكى فيها رسول الله – ﷺ – غناء الحور العين لأزواجهن فى الجنة ، كما فى حديث الترمذى عن الإمام على – ﷺ– قال: قال رسول الله – ﷺ – : " إن فى الجنة لمجتعا للحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق مثلها ، قال: يقلن: " نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبؤس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له " [٢] .

فالألفاظ: لا تؤذيه ، قاتلك الله ، دخيل ، خاطب ، رضوان ، الجنة ، الخالدات ، الناعمات ، الراضيات ؛ كلها ألفاظ سهلة رقيقة لينة ، واضحة المعانى ، وهى فى قمة الجزالة والفصاحة فى تراكيبها وأساليبها المعجزة.

وقد خلت هذه الألفاظ والأساليب من السوقية والابتذال ؛ ومن ثم يمكننى أن أقول: إن أسلوب نثر الحور العين أسلوب مستقيم لأنه كالصراط المستقيم فى دقة إعجازه وفصاحته ، فلا تجد فيه ميلًا ولا عوجًا عن الإعجاز العالى ، والفصاحة الفنية المعجزة .

وآية ذلك أنك ترى الألفاظ والأساليب فى قمة الدقة المعجزة فى دلالاتها على معانيها كما فى دعاء حوراء العيون على من تؤذى زوجها من نساء

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤١٧/٣٦ .

(٢) هذه الرواية جاءت فى سنن الترمذى ، تحقيق/ أحمد محمد شاكر ج٤ ، ص٦٩٦ ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان .

أهل الدنيا وقولها: " لا تؤذيه (قاتلك الله) فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا " (١) .

وقولها: (قاتلك الله): جملة دعائية ، لكنها تفيد الخبر ، فهى إعلان بحرب الله لها ، وهن فى دار الحق التى لا لغو فيها ولا كذب فلا ينطقن إلا بحق ، ونطقهن بالله رب العالمين ؛ ومن ثم فدعاؤهن يفيد الخبر .

وقولها: " دخيل " : يوحى بغربة زوجها فى عالم الدنيا ، وأنه يعيش فى دار ليست داره ، وأهل ليسوا أهله ، فصار بين أهله كالقريب الداخل عليهم وليس منهم ، وكالكلمة الأجنبية التى استعملها العرب فى لغتهم حتى صارت دخيلة عليها ، وهم يعلمون أنها ليست من لغتهم .

وهذا الأسلوب الدقيق يوحى بأن الدار الحقيقية لهذا الزوج المؤمن هى الآخرة ، فهى دار قراره واطمئنانه يتنعم بجنانها الرفيعة ، ويتنلذذ بحورها الحسان فى قصورها الشاهقة .

وقول الحوراء (يوشك أن يفارقك إلينا) يوحى بقرب وفاته ، وانتقاله من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ، وقولها: " إلينا " بالجمع يوحى بأن هذا الرجل سيكون له من الحور العين غيرها ؛ ليتمتع بهن ويتمتعن به فى دار القرار .

ودقة الألفاظ والأساليب تدل على دقة المعانى ، ولا عجب فى ذلك؛ لأن كلًا من اللفظ والمعنى يعدُّ صورة للآخر ، فاللفظ صورة المعنى ، والمعنى صورة اللفظ .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤١٧/٣٦ .

فإن قيل: إن كون اللفظ صورة للمعنى أمر لا غبار عليه ؛ لأنه شكل المعنى فكيف يكون المعنى صورة اللفظ ؟

قلت: إن المعنى يعد صورة عقلية أو ذهنية تكونت فى العقل ثم عبر عنها باللفظ الذى يدل عليها ؛ ومن ثم فالمعنى أيضا صورة اللفظ .

يقول الأستاذ / مجدى توفيق فى تعريف المعانى: " المعانى: هى الصورة الذهنية من حيث أنه وضع بإزائها الألفاظ ، والصور الحاصلة فى العقل " (١) .

ومن هنا فالمعانى أسبق فى وجودها العقلى قبل التعبير عنها بالألفاظ والأساليب ودقة الألفاظ والأساليب تقاس بمناسبة المعانى لها ، وقد بلغ نثر الحور العين حد الإعجاز فى ذلك ، فترى ألفاظه وأساليبه دقيقة فى دلالاتها فهى فى مكانها أفصح من غيرها ؛ لأنها تحمل فى باطنها العميق كثيرًا من المعانى والأفكار ؛ ومن ثم فهى ألفاظ موحية توحى بكثير من المعانى الفياضة المتجددة التى تهطل بالجديد كلما فكر العقل فى دلالاتها ، كما فى الحديث السابق .

ومن هنا يتضح أن نثر الحور العين قد امتازت معانيه بالسهولة والوضوح ، والدقة ، وحسن ملائمتها للألفاظ والأساليب ، كما امتازت معانيه

---

(١) مفهوم الإبداع الفنى فى النقد العربى القديم – تأليف أ/ مجدى توفيق ، ص٣٠١ ، ط ١٩٩٣م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

بالسمو والرفعة ، والصدق الفنى والخلقى كما سيتضح ذلك أثناء الحديث عن نثر الحور العين وفلسفة الجمال الفنى والخلقى [١] .

ومما يدل على صدق هذه المعانى أنك تراها لا تخالف أدب القرآن الكريم ، بل ويؤكد بعضها بعضًا ، ففى قصة أبى سليمان الدارانى مع حوراء العيون يقول أبو سليمان: " ... وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياى وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وعقلى " [٢] .

وفى قصة شفاء عبد الواحد بن زيد على يد حوراء العيون يقول – ﷺ – " ... وكأنى أنشطت من عقال ، فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتى تلك ، ولا ذهب حلاوة منطقها من قلبى ... " [٣] .

وقد جاء هذا المعنى فى قوله – تعالى – فى صفة كلام أهل الجنة ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ [٤] .

---

(١) ينظر ص ١١٥ من البحث .

(٢) شعب الإيمان للبيهقى ١٨٣/٢ .

(٣) التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا ٣٢١/١ .

(٤) آية ٢٤ من سورة الحج .

وفى قول الحور العين: " ألا ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدًا " (١) ، قريب من قوله – تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ (٢) .

وقولهن: " ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا " (٣) .

قريب فى المعنى من قوله – تعالى ﴿ لسعيها راضية ﴾ (٤) .

وكنت أظن أن هذا من باب الاقتباس ، لكن الاقتباس يكون من الغير ، ونثر الحور العين ينبع من سماء الوحى الإلهى التى نبع منها أدب القرآن الكريم ، مع الاحتفاظ بمكانة القرآن الكريم التى لا تضاهى ، فهو فى الطبقة الأولى من الكمال والإعجاز ؛ لأن الله – تعالى – قد تولى حفظه على مر الدهور والأزمان فلا يعتريه خطأ ولا لحن ولا شك ولا تحريف .

وأكثر هذه المعانى المتكررة بين أدب القرآن الكريم ونثر الحور العين قد جاءت فى بيان صفات جمالهن ؛ مما يدل على وحدة المنبع ، وإن كان القرآن الكريم لم يذكر شيئًا من كلامهن بخلاف الحديث النبوى .

وقد تربعت هذه المعانى – مع تكرارها – على عرش الفصاحة والإعجاز الفنى ؛ لأنها قد جاءت مناسبة تمام المناسبة للمقام الذى قيلت فيه .

---

(١) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ .

(٢) آية رقم ٨ من سورة الغاشية .

(٣) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ .

(٤) آية رقم ٩ من سورة الغاشية .

وقد انفرد نثر الحور العين ببعض المعانى والأفكار المبتكرة ، فكفاه أنه اخترق العالم الآخر ، وتحدث عن جمال ورقة نساء هذا العالم من الحور العين ، بل وكشف عن ما يدور فى قلوبهن من شوق إلى أزواجهن الصالحين من أهل الدنيا ، ومن ثم فقد ربط نثر الحور العين بين عالم الدنيا وعالم الآخرة ربطًا شرعيًا محكمًا .

وقد ترى كثيرًا من عناصر الفن القصصى فى نثرهن مثل: الأشخاص والأحداث ، والحوار ، والزمان ، والمكان ؛ مما يدل على طبعه بطابع الأسلوب القصصى اليسير ؛ لتتم الموعظة به لبطل القصة كلما ذكر نفسه بأحداثها ، وكذا لتعم الموعظة لكل من تحكى له هذه القصص السامية .

وأبطال هذه القصص من أجل صحابة رسول الله – ﷺ – ومن رجال السالف الصالح المشهود لهم بالتقوى والورع مثل: سيدنا عثمان بن عفان – ﷺ – وأبى سليمان الدارانى ، وعبد الواحد بن زيد وغيرهم .

وقد تدور عجلة الحوار بين رسول الله – ﷺ – وبين حوراء العيون ، ثم يحكى لنا رسول الله –ﷺ – أحداث هذا الحوار فى سنته المطهرة على سبيل البشرى لبطل القصة ومن كان على شاكلته من المؤمنين كما فى قصة حوراء الخليفة المظلوم .

وكثيرًا ما تدور عجلة الحوار بين حوراء العيون ومحبوبها بطريقة مباشرة كما فى قصة حوراء أبى سليمان الدارانى ، وقصة حوراء سهل العراقى ، وترى حوراء العيون تسيطر على الحوار أكثر من محبوبها ؛ حتى لا تكاد تجد لمحبوبها كلامًا إلا النزر اليسير ؛ لأن المقام يقتضى ذلك فقد أطلعها الله – تعالى – على الجنة ونعيمها ، وما أعده لعباده الصالحين ؛ ومن ثم فهى

تقف لمحبوبها موقف الناصح الأمين ، ويقف محبوبها موقف المندهش بجمالها وعذوبة منطقها ، والمستمع لنصائحها المتأثر بها بكل صمت ووقار .

وقد بدا ذلك واضحًا فى قصة سهل العراقى الذى يحكى لرفيقه عن علة زهده عن الطعام والشراب ، وأحاديث اللغو والسمر ، فيقول: " أريت فى منامى قصرًا من قصور الجنة ، فإذا لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، فلما تم البناء إذا شرفة من زبرجد وشرفة من ياقوت ، وبينهما حوراء من الحور العين مرخية شعرها عليها ثوب من فضة ، ينثنى معها كلما تثنت .

فقالت: يا سهل ، جد إلى الله فى طلبى ، فقد (والله) جددت إليه فى طلبك " (١) .

وقد وقف سهل العراقى من هذه الحوراء موقف المحب الصامت فلم ينطق فى حواره معها ، لكنه طبق كلامها أصدق تطبيق ، فعزفت نفسه عن الطعام والشراب ، واللهو والسمر ، وانشغل بالصلاة والصيام لله – تعالى – حتى لقى ربه .

وقد تدور عجلة الحوار بين الحور العين ، وبين سيدنا رضوان خازن الجنة – على نبينا وعليه السلام – كما فى حديث البيهقى الذى أخبر فيه النبى – ﷺ – بأن الحور العين فى أول ليالى رمضان يبرزن على شرف الجنة ، فينادين:

---

(١) المنامات لابن أبى الدنيا ، تحقيق/ عبد القادر عطا ١٣٨/١ ، ١٣٩ ، ط الأولى ١٤١٣هـ- بيروت – لبنان .

هل من خاطب إلى الله فيزوجه ؟

ثم يتوجهن بالحوار إلى خازن الجنة ، فيقلن:

يارضوان الجنة : ما هذه الليلة ؟

فيجبهن بالتلبية (يعنى يقول لهن: لبيكن)

ثم يقول: ياخيرات حسان ، هذه أول ليلة من شهر رمضان ، فتحت أبواب الجنة على الصائمين من أمة محمد – ﷺ – [(١)] .

وترى أدب الحوار فى إضافة خازن الجنة إلى الجنة ، وقولهن له: يارضوان الجنة ، فهى إضافة تشريف ، كما أن الجنة دار لمن رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ومن ثم فلا عجب فى أن يكون خازنها رضوانًا .

ويجيب هذا الملك الكريم على حديثهن بأطيب الكلام وأحسنه معلنًا طاعته لهن ، واصفًا إياهن بأخص وأجمل صفاتهن ، فيقول لهن: ياخيرات حسان ؛ مما يدل على جمال الجنة ، وحسن أخلاق أهلها ، وحلاوة الأحاديث فيها ، فكما قال الله – تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ [(٢)] .

ولا شك أن نداء الملك بإضافته إلى الجنة التى هو خازنها ، ونداء الحور العين بأخص صفاتهن يحمل كثيرًا من المعانى المبتكرة بالإضافة إلى الصور الأدبية الحقيقية فى نثرهن والتى ستأتى بعد ذلك .

---

(١) شعب الإمان للبيهقى ٣/٣٣٥ ، ط الأولى – بيروت .

(٢) آية رقم ٢٥ ، ٢٦ من سورة الواقعة .

وترى فى نثرهن رومانسية حقيقية معجزة لا مثيل لها فى عالم الدنيا وإن كان الأصل فى الرومانسية أن لا توصف بالحقيقة ؛ لأنها تقوم على الهروب من الواقع والجنوح إلى الخيال ؛ لجلب السعادة والمتعة [١] .

ونثر الحور العين يصور دارًا لا خيال فيها ، فكل ما يخطر بالنفس تراه حقيقة أمام عينها ، ومن ثم فأقل مراتب الحقيقة فيها ، فاق الخيال بمراحل كثيرة ، فمثلًا : ترى كثيرًا من كتاب الأدب الرومانسى يحرصون على تحريك الطبيعة وإنطاقها مطبقين ذلك فى قصصهم التى يمثلونها تطبيقًا عمليا على سبيل الخيال .

وقد جاء ذلك فى نثر الحور العين على سبيل الحقيقة ، ففى حديث ابن عباس يقول النبى – ﷺ – : " إن الجنة لتخبر وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان ، فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها: المثيرة تصفق ورق أشجار الجنات ، وحلق المصاريع ، فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه ، فتبرز الحور العين حتى يشرفن على شرف الجنة ، فينادين : هل من خاطب إلى الله فيزوجه ؟ " [٢] .

---

(١) ينظر: فى النقد الأدبى الحديث مذاهب وقضايا للدكتور/ عبد الحميد هلال ، ص٢٧ ، ط ١٤٠٢هـ ، مطبعة الأمانة .

(٢) شعب الإيمان للبيهقى تحقيق/ محمد زغلول ٣/٣٣٥ ، ط الأولى ١٤١٠هـ – دار الكتب العلمية – بيروت .

فانظر إلى أنغام الرياح المثيرة ، وتصفيق ورق الشجر ، وطنين حلق الأبواب من أجل قدوم شهر رمضان ، فكلها تخلق أجواءً رومانسية طبعية هادئة ترتاح لها النفس ، ويهنأ بها القلب ، وتقوى فيها العوطف .

ومن الحقائق التى فاقت حد الخيال بمراحل كثيرة ما جاء فى قصة حوراء الخليفة المظلوم التى حكاها النبى – ﷺ – فقال: " بينا أنا جالس إذ جاءنى جبريل ، فحملنى ، فأدخلنى جنة ربى – عز وجل – فبينا أنا جالس إذ جعلت فى يدى تفاحة ، فانفلقت التفاحة بنصفين ، فخرجت منها جارية لم أر جارية أحسن منها حسنا ولا أجمل منها جمالا [1] .

فخروج حوراء العيون من بين فلقتى التفاحة أمر خارق للعادة ، فكيف حجم هذه التفاحة التى تخرج الحواء من بين فلقتيها ؟

وكيف بجمال هذه الحوراء التى تتولد من بين فلقتى التفاحة بجمال شكلها ورائحتها العطرية ؟

وهذه الصورة الرومانسية الرائعة تكون فى الجنة على سبيل الحقيقة كما أخبر رسول الله ﷺ ، ولا عجب فى ذلك ففى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وهذا الأسلوب الرومانسى يفيد بأن هذه الحوراء قد تجملت بجمال شكل التفاحة التى تولدت منها فى بياضها المشرب بالحمرة والاصفرار ، كما يوحى بجمال ثغرها المروح برائحة التفاح العطرية .

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٢١٩/١ .

وأسلوب أدب الحور العين أسلوب مطبوع لا مجال فيه للصنعة والزخارف اللفظية المتكلفة ، إلا ما جاء منها بلا تكلف ، وهو محفوف بالجزالة والوضوح ، والفصاحة فى كل أحواله .

وقد تنوع أسلوب أدب الحور العين بين الخبر والإنشاء ، فمن الأسلوب الخبرى قول حوراء العيون: " أنا من الحور العين خلقنى الله- عز وجل – من نور عرشه " (١) .

ومن الأسلوب الخبرى ما حكاه النبى – ﷺ – عن غناء الحور العين ؛ حيث يقلن: " نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبؤس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ... " (٢) .

وأخبارهن صادقة لا تحتمل الكذب عند من آمن بها ؛ لأنها قد جاءت بوحى من النبوة على لسان رسول الله- ﷺ – ، أو برؤيا بعض الصالحين التى رواها المحدثون بالسند الصحيح والتى تعد جزءًا من النبوة والوحى .

أما الأسلوب الإنشائى فقد هيمن على نثر الحور العين ؛ لأنه يعد أدبًا هادفًا يهدف إلى الأمر بحسن العبادة والتقرب إلى الله – تعالى – والنهى عن معصيته ، والثبات على طاعته ؛ مما يتفق مع معنى الإنشاء.

وقد تعددت صور الأسلوب الإنشائى فى نثر الحور العين ، فتارة يعتمد على الاستفهام كما فى قول حوراء العيون لمحبوبها : " ... أترقد عيناك

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٢١٩/١ .

(٢) سنن الترمذى ٦٩٦/٤ ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت .

والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟ ... أترقد عيناك وأنا أربى لك فى الخدر منذ كذا وكذا ؟ " [١] .

وقد خرج هذا الاستفهام من معناه الحقيقى إلى معنى التوبيخ والإنكار وتارة يعتمد على النداء والأمر كما فى قول الحوراء لسهل العراقى: " يا سهل ، جد إلى الله فى طلبى ، فقد (والله) جددت إليه فى طلبك " [٢] .

وقد كثر الأمر فى قول الحوراء لأخواتها فى قصة شفاء عبد الواحد بن زيد : " افرشنه ، ومهدنه ، ووطئن له ، ووسدنه " [٣] .

وقد يعتمد على النهى والدعاء كما فى قول الحوراء لمن تؤذى زوجها المؤمن من نساء أهل الدنيا : " لا تؤذيه قاتلك الله ... " [٤] .

فهى تنهاها عن أذيته أولا ، وبعد ذلك تدعو عليها بقتال الله – تعالى – لها إن لم تكف عن أذيته ، ودعاء الحور العين إنشاء فى لفظه ، وفى معناه إخبار عن ما فى علم الله – تعالى – بأمره ؛ لأنهن لا ينطقن إلا بإلهام من الله جل فى علاه .

وقد تنوع أسلوب نثر الحور العين بين الإيجاز والإطناب على حسب المقام الذى يقتضيه ، وإن سيطر أسلوب الإيجاز على الغالبية العظمى من

---

(١) شعب الإيمان ، تحقيق د/ عبد العلى عبد الحميد ١٨٣/٢ ، ط الأولى ١٤٢٣هـ – مكتبة الرشد – الرياض .

(٢) المنامات لابن أبى الدنيا ١٣٨/١ ، ١٣٩ .

(٣) التهجد وقيام الليل ٣٢١/١ .

(٤) مسند الإمام أحمد ٤١٧/٣٦ .

نثرهن ، فأكثر نثرهن قد جاء فى عبارات يسيرة ؛ لكنها تحمل الإشارات العميقة ، والمعانى الكثيرة فى شرحها وتحليلها .

وترى أسلوب الإيجاز واضحا فى ترحيب الحور العين بمحبوبهن الذى قتل فى سبيل الله ، فيقلن له: " مرحبًا قد آن لك " كما جاء فى سنن ابن منصور (١) .

فهى عبارة يسيرة فى أسلوبها ، لكنها تحتاج إلى ألفاظ كثيرة فى شرح معانيها وأفكارها ، فالمعنى: مجيؤك عندنا على الرحب والسعة ، فقد آن لك أن تتمتع بنا على أرض الجنة الفسيحة ، وقصورها المريحة فى سدر مخضود ، وطلح منضود وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة .

وهذه العبارة قريبة فى المعنى من قول الحور العين: " طوبى لمن كان لنا وكنا له " (٢) .

وهى عبارة موجزة أيضا لكنها تحوى الكثير من المعانى ، والمعنى: طابت حياة من كان لنا فتزوج بنا وتزوجنا به ، فتمتع بنا وتمتعنا به ، فعشنا حياة طيبة هنية لا نصب فيه ، ولا تعب ، ولا غل فيها، ولا حقد ولا حسد ولا ظلم ولا طغيان ولا مرض ولا موت ولا فناء فى دار الخلود والمقام .

(١) سنن سعيد بن منصور الخرسانى ، تحقيق أ/ حبيب الأعظمى ، ج٢ ، ص٢٥٨ .
(٢) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ .

وأسلوب هذه الحوراء قريب فى المعنى أسلوب النظم العالى لأدب القرآن الكريم ، كما فى قوله – تعالى – فى صفة أهل الجنة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ (١) .

هذه مع الاحتفاظ بمكانة النظم العالى لأدب القرآن الكريم ، فهو فى الطبقة الأولى من الإعجاز والفصاحة ؛ لأنه لا لحن فيه ولا شك .

ومن أساليب الإيجاز أيضا دعاء الحور العين لمحبوبهن الذى أصبح صائمًا ، فيقلن فى حقه: " اللهم اقبضه إلينا فقد اشتقنا إلى رؤيته ... " كما جاء فى حديث الطبرانى (٢) .

والمعنى: اللهم اقبض روحه من عالم الدنيا ؛ ليأتى إلينا فى عالم الآخرة ليعيش معنا ، ويتمتع بنا ، ونتمتع برؤيته معنا ، فقد اشتقنا إلى رؤيته .

وقد يأتى أسلوب الإطناب فى الجانب النثرى عند الحور العين على وجه القلة ؛ لمقام يقتضيه ، كما فى حوار حوراء الخليفة المظلوم مع النبى – ﷺ – ، فلما قال لها النبى – ﷺ – : " من أنت يا جارية ؟ قالت: أنا من الحور العين ، خلقنى الله – عز وجل – من نور عرشه ، فقال لها: لمن أنت ؟ قالت: للخليفة المظلوم عثمان بن عفان – رضي الله عنه – " (٣) .

---

(١) آية ٢٩ من سورة الرعد .

(٢) المعجم الصغير للطبرانى ٩٢/٢ .

(٣) المعجم الكبير للطبرانى ٢١٩/١ .

فكان يكفيها فى أول الأمر أن تقول: أنا حوراء ، لكنها أطالت فى الحديث مع النبى – ﷺ – فقالت: أنا من الحور العين ، ولم يسألها رسول الله – ﷺ – عن كيفية خلق الله – تعالى – لها ، ومع ذلك قالت له: خلقنى الله – عز وجل – من نور عرشه .

وبعد ذلك ، لما قال لها : لمن أنت ؟ كان يكفيها أن تقول: لعثمان بن عفان ، لكنها قالت: للخليفة المظلوم عثمان بن عفان – ﷺ – .

والمقام يقتضى البسط ، والإطالة ؛ لأنها تتحاور مع أشرف خلق الله أجمعين ، ومن ثم فهى تستأنس بالحوار معه – صلى الله عليه وسلم – ، فضلًا على أن كل كلمة قالتها دون أن يسألها عنها رسول الله – ﷺ – كانت لإرسال البشرى إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان .

فتقول حوراء العيون: خلقنى الله – عز وجل – من نور عرشه دون أن يسألها عن ذلك رسول الله – ﷺ – ؛ لتشيرأيضًا إلى أن جمالها قد فاق جمال أقرانها من سائر الحور العين ، فإنهن خلقن من الزعفران ، بخلاف هذه الحوراء التى توجها الله – تعالى – بالجمال الفائق ، فأمدها بنور جمال نور عرشه ، وتلك إذن بشرى سارة لقلب محبوبها الذى خلقت من أجله .

ولما تعجب النبى – ﷺ – من سر جمالها الفائق سألها عن من خلقت من أجله ، فقال لها: لمن أنت ؟

فقالت: للخليفة المظلوم ؛ فبدأت بالإشارة إلى ظلمه ؛ لتبين أنه لن ينالها ويتمتع بحسنها وجمالها إلا بظلم الرعية له ؛ حتى يصبرعليهم ، وهذا

ما تحقق بعد ذلك حينما تولى سيدنا عثمان الخلافة وثارت عليه الرعية واقتحموا عليه منزله وقتلوه ظلما وعدوانا كما تقدم [١] .

ومن هنا فقد تنبأت حوراء العيون بتوليه للخلافة وظلم الرعية له، ثم ذكرت اسمه ، فقالت: عثمان بن عفان – ﷺ – ، وختمت بالتبشير برضا الله – تعالى – عنه الذى هو أمنية كل مؤمن .

وهكذا ناسب مقام الإطناب لحوار حوراء الخليفة المظلوم مع النبى – ﷺ – ، فحمل فى باطنه كثيرًا من البشر والمحن ، والصبر عليه ؛ لتثبت بذلك محبوبها الخليفة الراشد عثمان بن عفان – ﷺ – ، فينالها ويتمتع بجمالها الفائق ثوابا من الله –تعالى – على صبره ، فضلًا عن إدراك حوراء العيون بشرف الحديث مع النبى – ﷺ – والاستئناس به والله أعلم .

(١) ينظر: ص ٢٤٨٥ من البحث .

المبحث الثانى

العاطفة والإيقاع الموسيقى فى نثر الحور العين

لا شك أن نثر الحور العين يُعد نثرًا غريبًا على عالمنا ؛ لأنه يصور مشاعر هؤلاء الحور العين تجاه أزواجهن المؤمنين أصدق تصوير.

والعاطفة من حيث الطبيعة تعنى: الغرائز الطبيعية فى الإنسان ، ومن الناحية النقدية تعنى: المشاعر والأحاسيس التى يثيرها الأديب فينا نحن القراء [1] .

وإذا كانت العاطفة بهذا المعنى ، فهل يمكن تطبيقها على نثر الحور العين ؟ لقد أثر نثر الحور العين فى محبوبيهن ، فغير أحوالهم إلى أحسن الأحوال فداوموا على قراءة القرآن والصيام ، وصلاة التهجد والقيام ، كما شكل منهم فرسانا يقاتلون فى سبيل الله بكل شجاعة واستبسال ؛ راغبين فى ثواب الله والجنة ، والتمتع فيها بالخيرات الحسان من الحور العين .

وقد أثر فى هذا النثر تأثيرًا قويًا ، وأظن أنه سيؤثر فى نفس كل مؤمن يقرأه ؛ مما يدل على تدفق العواطف والأحاسيس فى أدب الحور العين تدفقا قويا ، ولا عجب فى ذلك ، فكلما زاد جمال المرأة وحبها لزوجها ، كلما تدفقت عاطفتها نحوه ، فعبرت عن ذلك فى أدبها ، فكيف بجمال الحور العين ، وحسنهن ، ورقتهن ؟

---

(١) ينظر: فى أصول النقد الأدبى وقضاياه للدكتور/ زهران محمد جبر ، ص١٥٥ ، ط ١٤٠٨هـ .

وقد عبر القرآن الكريم عن عاطفة الحور العين تجاه أزواجهن فى قوله – تعالى ﴿ عربًا أترابا ﴾ (١) .

والعرب: جمع عروبة ، وهى التى تعرب وتفصح عن أنوثتها لزوجها بأسلوب عربى رائع مبين ؛ حتى تميل قلبه إليها .

وإفصاح حوراء العيون عن عاطفتها ومشاعر حبها لزوجها من تمام إفصاحها عن أنوثتها ، وقد جاء فى نثرهن ما يدل على حبهن لأزواجهن وشوقهن إلى رؤياهم .

ففى حديث الطبرانى يدعو الحور العين لمحبوبهن الذى يصبح صائمًا حريصًا على صلاة النافلة ، فيقلن: " اللهم اقبضه إلينا فقد اشتقنا إلى رؤيته " (٢) .

وروى العلامة البغوى عن ابن زيد قال: تقول الحوراء لزوجها : وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيئًا أحسن منك ، فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك " (٣) .

(١) آية ٣٧ من سورة الواقعة .

(٢) المعجم الصغير للطبرانى تحقيق/ محمد شكور ٩٢/٢ ، ط الأولى ١٤٠٥هـ ، المكتب الإسلامى – بيروت .

(٣) معالم التنزيل لمحيى السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى ، تحقيق/ محمد عبد الله النمر ٤٥٣/٧ ، ط الرابعة ١٤١٧هـ – دار طيبة .

ويؤكد هذا النص ما رواه مسلم وأحمد فى مسنده عن طريق أبى سعيد الخدرى ﷺ قال بأن النبى ﷺ قد أخبر بأن الحوراء تدخل على زوجها فى بيته من الجنة فتقول: الحمد لله الذى أحياك لنا ، وأحيانا لك " [١] .

وفى قصة حوراء أبى سليمان الدارانى تصرح الحوراء بحبها له فتقول له: " ما هذا الرقاد حبيبى وقرة عينى ؟ " [٢] .

وهكذا سيطرت عاطفة الحب والشوق إلى المحبوب على نثر الحور العين ، وإن كان لهذه العاطفة مقاييس مثالية معجزة ؛ لارتباطهن بعالم الجنة ونعيمها ، وأهلها المؤمنين الصالحين قبل أن ينتقلوا إليهن ؛ ولا عجب فى ذلك ؛ لأن هذه العاطفة قد تجملت من قلوب تربعت على عرش الطهر والنقاء ، ونفوس تجملت بأفانين الحسن والبهاء ؛ فتمتعت وارتاحت لدار الخلود والبقاء ؛ ومن ثم فقد تميز نثرهن أيضًا بطهارة العاطفة فى جميع قصصه وموضوعاته ، فالفنان الذى يحرص على الجمال الحسى قد ينزلق دون طهارة عاطفته ولذا نادى النقاد بتطهير العواطف [٣] .

وعاطفة نثر الحور العين تعدُّ فى قمة الرفعة والسمو ، والطهارة والنبل ؛ لطهارة قلوب قائليه ، وسلامة نفوسهن مع طهارة البيئة الجنانية الخصبة التى نمت وتربت فيها هذه العواطف السامية .

---

(١) صحيح مسلم ١/١٧٥ ، مسند الإمام أحمد ١٧/٣١٥ ، جامع الأصول لابن الأثير ١٠/٥٥٦ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقى ٢/١٨٣ .

(٣) ينظر: النقد الأدبى ومدارسه الحديثه لاستانلى هايمن: ترجمة: إحسان عباس ٢/١٤٦ ، ط ١٩٦٠م ، دار الثقافة – بيروت – لبنان .

ولـيس شـرطا فـى قـوة العاطفـة أن تخضـع لتجربـة أدبيـة كاملـة تتسـم بوحـدة العاطفـة ، والعقـل ، والفكـر ، واللغـة ؛ لتصـورها معانـاة صـاحبها فـى نتاجه الأدبى كما ذكر الدكتور/ شوقى ضيف [١] .

وأرى أن نثر الحور العين عبارة عن قصص ومقطوعات نثرية قصيرة تصور مدى إغراق الحور العين فى حبهن لأزواجهن المؤمنين ، وإخلاصهن لهم ، وقد جاءت على سبيل البشرى لهؤلاء المؤمنين ؛ حتى يستقيموا على طاعة ربهم ماداموا فى هذه الدنيا .

وأظن أن هذه المقطوعات القصصية القصيرة لا تشكل تجربة كاملة بالمعنى الأدبى الذى درسناه ، بل هى – فى رأيى – لا تخضع لتجربة أصلا ؛ لأن التجربة الأدبية من الناحية الواقعية ومدى تأثيرها فى المتلقى ، تخضع للنجاح والفشل ، بخلاف نثر الحور العين فقد كتب الله – تعالى – له النجاح فى جميع قصصه ومقطوعاته النثرية بفضل الوحى الإلهى الذى عصمه من الخطأ والفشل .

ومن عجائب نثر الحور العين أنك ترى العاطفة فى جميع قصصه ومقطوعاته النثرية تتسم بالصدق الخلقى والفنى فى وقت واحد ، فمثلا: فى غناء الحور العين وقولهن:

" نحن الخالدات فلا نموت أبدًا !

ألا ، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدًا !

(١) فى النقد الأدبى للدكتور/ شوقى ضيف ، ص١٤٢ ، بنصرف . ط الثامنة – دار المعارف.

ألا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا !

ألا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا !

طوبى لمن كنا له ، وكان لنا ! " [١] .

ترى عاطفة الفرح والسعادة قد سيطرت عليهن فى المقطوعة السابقة ، فتحدثن عن أسباب هذا الفرح المكنون فى نعم الله – تعالى – من السعادة والفرح لا يفنى أبدًا ولا يزول ، وسيعيش معهن أيضًا هذه المشاعر السعيدة الدائمة أزواجهن المؤمنون ، وتلك إشارة لهم ؛ لكى يجتهدوا فى طاعة ربهم ؛ ليستمتعوا مع الحور العين فى هذه البيئة الجنانية التى لا تعرف سوى الفرح والسعادة ، فطاب عيش من كان زوجا للحور العين فيها وكنَّ أزواجا له .

وهكذا عبر الحور العين عن أحاسيسهن السعيدة الخالدة بعبارات تعد فى قمة الصدق الفنى ؛ فجمالهن الدائم ، وسعادتهن الخالدة لا يمكن أن يصل إلى مثلها أحد فى عالم الدنيا ؛ لأنها دار الفناء ؛ مما شوق المؤمنين إلى رؤيتهن ، والتمتع بجمالهن .

ومع هذا الصدق الفنى الجميل ترى صدقا خلقيا ساميا يوافق تمامًا للمنطق والواقع بلا خيال ، أو مبالغة ، فجميع النعم الخالدة التى اعتززن بها ، وتحدثن عنها فى الحديث السابق نعم حقيقية لا مبالغة فيها ، وكفى فى ذلك إخبار النبى – ﷺ – عنها ، وهو – صلى الله عليه وسلم – الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ، بل هو وحى يوحى إليه ، والمنطق

---

(١) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ ، ط دار الحرمين – القاهرة .

والواقع يؤيد ذلك ؛ لأنهن يعشن فى دار الخلود والبقاء ، وقد خلقهن الله – تعالى – وجملهن أحسن تجميل ليثيب بالمتاع معهن عباده المؤمنين الصالحين ؛ حتى لا يستوى المحسنون بالمسيئين .

والصدق الفنى والخلقى يعملان معًا على صدق العاطفة وسموها ، وتوهجها وقصر القصص والمقطوعات النثرية خير دليل على قوة العاطفة وتوهجها ؛ لأنها عبارة عن بشر نبوية معجزة ، وخطرات منامية فى قمة الروعة الفنية التى لا مجال فيها للإطناب الممقوت ، والتكلف المصنوع .

ففى قصة حوراء سهل العراقى تقوى وتشتد عاطفة الحب والخوف على المحبوب ، فتقول له الحوراء: " يا سهل ، جد إلى الله فى طلبى ، فقد (والله) جددت إليه فى طلبك " [1] .

وقسمها بالله – تعالى – خير دليل على صدق وقوة عاطفة الحب والخوف على محبوبها ، فقد اجتهدت وألحت فى دعائها لربها حتى يراها؛ وتكون سببا فى هدايته ؛ مما يدل على صدق وقوة حبها لمحبوبها ، فأثرت فى هدايته تأثيرًا عجيبًا واجتهد فى طلبها بحسن طاعته وعبادته لربه جل وعلا .

وقد تتردد العاطفة بين القوة والشدة ، والرخاء واللين بطريقة دقيقة محكمة ؛ حتى تصيب هدفها بنجاح باهر ، ومن ثم يتردد أسلوب الحوار فيها أيضا بين الشدة واللين ، كما فى قصة حوراء أبى سليمان الدارانى التى حكاها الإمام البيهقى فى شعبه ، والتى يقول فيها أبو سليمان الدارانى " بينا أنا

(١) المنامات لابن أبى الدنيا ١٣٩/١ .

جالس إذ ذهب بى النوم ، فإذا أنا بها – يعنى الحوراء – قد ركضتنى [1] برجلها وقالت: حبيبى ! .

أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟

بؤسًا لعين آثرت لذة نومه على لذة مناجاة العزيز !

قم فقد دنا الفراغ ، ولقى المحبون بعضهم بعضا

فما هذا الرقاد حبيبى وقرة عينى ؟

أترقد عيناك وأربى لك فى الخدر منذ كذا وكذ ؟

قال أبو سليمان: فوثبت فزعًا ، وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياى وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وعقلى " [2] .

من الواضح أن هذه الحوراء تعشق الدارانى لشدة ورعه ، وكثرة قيامه وتهجده بالليل ، فلما نام عن تهجده احترقت عاطفتها من الحزن عليه ، فضربته برجلها ؛ لتوقظه ، فكانت بداية قسوتها عليه .

وبعد ذلك لانت عاطفتها ، فترفقت به فى الحوار ، وأفصحت عن حبها له ؛ حتى لا يغضب من ضربها له ، فقالت له: حبيبى !

ثم ذكرت أنه ينام عن لقاء ملك الملوك ، فعظم هذا الأمر فى عينها، فاشتدت عاطفتها مرة أخرى ، فلجأت إلى القسوة عليه مرة أخرى وقالت له :

---

(١) ركضتنى: ضربتنى ، المصباح المنير ٢٣٧/١ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقى ١٨٣/٢ .

أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟

وهو استفهام توبيخى ؛ لتوبيخه على نومه عن لقاء ملك الملوك فى صلاته ، وتزداد فى التوبيخ ، فتدعو بالبؤس والشقاء على كل عين تؤثر لذة النوم على لذة الصلاة ، ومناجاة الله العزيز فيها .

وبعد هذه الشدة تلين عاطفتها؛فتلطف له القول ، وتأمره بالنهوض إلى تهجده فى الثلث الأخير من الليل حيث ينزل المولى – عز وجل – إلى السماء الدنيا ويقرب أحبابه المؤمنين إليه ويلتقى بهم فى صلاتهم وتهجدهم له .

ثم تشتد عاطفتها قليلًا ، فتنكر عليه رقاده بطريق الاستفهام الإنكارى الذى يعد أقل حدة من الاستفهام التوبيخى ، فتقول:

فما هذا الرقاد حبيبى وقرة عينى ؟

وتلطف هذا الإنكار بقولها: حبيبى وقرة عينى !

وفى النهاية تلطف إنكارها عليه بإرسال البشرى له ، وهى: أن الله – تعالى – قد خلقها وأخذ يربيها ويجملها منذ كذا وكذا من السنين ؛ ليزوجها له فى الجنة ويتمتع بها .

وهكذا تدرجت حوراء العيون فى حوارها مع محبوبها من الضرب إلى التوبيخ ، ثم إلى الإنكار ؛ مما يدل على تردد العاطفة عندها بين التوهج ، والشدة ، واللين والرقة بطريقة نموذجية محكمة ؛ حيث كانت تتبع قسوتها عليه بكلامها الحلو اللطيف الذى ينسيه ألم القسوة ؛ حتى أدت مهمتها بكل

مهارة ونجاح ، فقام محبوبها إلى تهجده وقد عرق استحياءً من توبيخها له ،وإن حلاوة منطقها لفى سمعه وعقله .

ولا شك أن هذا الأسلوب الحوارى المعجز لفى قمة الإعجاز الفنى والخلقى إعجازا يليق بجمال الحور العين ورقتهن ، وحسن أدبهن:

أما بالنسبة للإيقاع الموسيقى ، فقد عرفه الدكتور/ محمد مندور بقوله: " الإيقاع الموسيقى: هو تردد ظاهرة معينة على مسافات زمنية متساوية ، أو متقابلة داخل الوحدة الوسيقية " (١) .

ويبدو أنه يقصد بهذا التعريف البحور العروضية التى جاء على منوالها الشعر القديم ، واقتدى به أكثر الشعراء المحدثين مع التزام وحدة القافية فى جميع أبيات القصيدة .

وأرى أن دائرة الإيقاع الموسيقى أوسع من هذا التعريف ، وإلا لو اقتصر على وحدة الوزن والقافية ، لخلا النثر من الإيقاع الموسيقى ، ولا خلاف فى أن النثر الفنى قد تتردد فى بعض ألفاظه وعباراته بعض مظاهر الإيقاع الموسيقى .

يقول الدكتور/ إبراهيم أنيس: " ونثر الكلام قد يشتمل على نوع من الموسيقى ، نراها فى صعود الصوت وهبوطه أثناء الخطاب ، كما قد نراها فى صورة قواف تنتهى بها فقرات ما يسمى بالسجع " (٢) .

---

(١) الأدب وفنونه للدكتور/ محمد مندور ، ص٣٤ ، ط ١٩٩٦م ، نهضة مصر .

(٢) موسيقى الشعر للدكتور/ إبراهيم أنيس ، ص١٦ ، ط١٩٨٨م ، ط السادسة – مكتبة الأنجلو المصرية .

وقد ذكر الدكتور/ شوقى ضيف أن وحدة الوزن والقافية لا تمثل سوى الموسيقى الظاهرة أو الخارجية ، وذكر أن وراء هذه الموسيقى الخارجية موسيقى خفية تنبع من اختيار الكلمات القوية الموحية ، وتسمى: بالموسيقى الداخلية (١) .

وقد اشتمل نثر الحور العين على بعض ألوان الموسيقى الخارجية التى تظهر واضحة فى غنائهن المسجوع فى نثرهن بإلهام ربانى لا تكلف فيه ، حيث يقلن:

" نحن الخالدات فلا نموت أبدًا !

ألا ، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدًا !

ألا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا !

ألا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا !

طوبى لمن كنا له ، وكان لنا ! " (٢) .

فهذه المقطوعة النثرية الرائعة تتكون من فقرات تكاد تكون متقاربه فى الوزن ، بالإضافة إلى السجع الواضح فى نهاية كل فقرة من هذه الفقرات .

وتراهن قد طابقن بين كثير من المعانى التى أردنها بأسلوب أدبى بديع ، فطابقن بين: الخلود والموت ، والنعومة والبؤس ، والإقامة والظعن ، والرضا

(١) ينظر: الإطار الموسيى للشعر ملامحه وقضاياه للدكتور/ عبد العزيز نبوى ، ص٣٤٠ ، ط ١٩٧٨م – الصدر (سيسكو) – القاهرة .

(٢) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ .

والسخط ، وطريق الطباق يؤكد المعنى المراد ؛ لأنه يجمع فى دلالته بين الإثبات ونفى الضد الذى يعد بمثابة نفى النفى ، ومن ثم فهو تأكيد للإثبات الأول .

وترى أيضًا من ألوان البديع فى غنائهن السابق ما يسمى بالموازنة " والموازنة: هى أن تكون الألفاظ متعادلة الأوزان ، متوالية الأجزاء " (١) .

وتبدو الموازنة فى غنائهن بين: الخالدات والناعمات ، والراضيات، فكلهن على وزن الفاعلات ؛ مما جمل غناءهن بالإيقاع الموسيقى البديع .

وقد جاءت ألوان البديع هذه بصورة طبعية لا صنعة فيها ولا تكلف فأحدثت ما يسمى بالموسيقى الخارجية الرائعة التى فاقت فى إيقاعاتها موسيقى الوزن والقافية النابعة من الشعر العمودى ، ولا عجب فى ذلك فقد أغنت الموازنة بين الكلمات عن الوزن العروضى ،وأغنى السجع عن القافية فضلًا عن تكرار بعض الكلمات فى أول الفقرات وآخرها مما جعل النص يفيض بالإيقاعات الموسيقية الرائعة التى ترتاح لها الأذن وتأنس بها النفس .

ويبقى بعد ذلك لسان الحور العين العربى الفصيح ، وحلاوة نطقهن ، ودوره فى أداء هذا الغناء ببراعة فنية عالية ؛ حتى قيل: لم تسمع الخلائق بمثل غنائهن .

أما بالنسبة للموسيقى الداخلية فتكمن فى دقة الألفاظ ذات الوقع الموسيقى الذى يتناسب مع معانى هذه الألفاظ ، فمن ذلك قول حوراء العيون

(١) موسيقى الشعر العربى للدكتور/ حسنى عبد الجليل ١٨٣/١ ، ط ١٩٨٩م ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

فى الدعاء على من تؤذى زوجها المؤمن فى الدنيا: " لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا " (١) .

فكلمة " دخيل " بخائها الفخمة ذات الوقع الموسيقى القوى ، ومخرجها الحلقى توحى وتصور هيئة هذا الرجل القوى الإيمان الذى يعيش غريبا على باب هذه الدنيا ، فلم يتمكن حبها من قلبه،ولم يعطها أى اهتمام ، فهو فيها كحرف الخاء المعلق فى الحلق والذى لا يستطيع النفاذ إلى قلب الإنسان وباطنه ، وكذا المؤمن الذى يعيش فى هذه الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل ينتظر لقاء الآخرة والجنة ؛ ليعيش فيها خالدًا مخلدًا مع الحور العين ؛ ولذا قالت الحوراء فى حقه : يوشك أن يفارقك إلينا .

ومن الألفاظ الموحية التى نبعت منها الموسيقى الداخلية التى كان لها دور فى تشكيل المعنى أيضا قول حوراء العيون لأبى سليمان الدارانى: أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟

أترقد عيناك وأربى لك فى الخدر منذ كذا وكذا ؟

بؤسا لعين آثرت لذة النوم على لذة مناجاة العزيز ! (٢)

فتكرارها كلمة أترقد ... ؟ بحروفها الصلبة الشديدة ولا سيما القاف والدال ومالهما من وقع موسيقى يوحى بقسوة العين التى تفضل لذة النوم على لذة لقاء ومناجاة ملك الملوك الذى لا يغفل عن خلقه أبدًا ولا ينام ؛ ولذا

(١) مسند الإمام أحمد ٤١٧/٣٦ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقى ١٨٣/٢ .

فقد دعت على هذه العين القاسية بالبؤس الذى يوحى بقسوة العيش وصلابته .

وهكذا وظف الحور العين الموسيقى الداخلية للألفاظ الموحية لتشترك مع الموسيقى الخارجية فى إثراء المعنى المراد ، وتشكيله على حسب مقتضى الحال والمقام .

الفصل الرابع

الصورة الأدبية وفلسفة الجمال الفنى والخلقى

فى ضوء نظريتى " الفن للفن " ، " والفن للحياة "

تشترك جميع الخصائص الفنية وتتحد فيما بينها ؛ لتكون ما يسمى بالصورة الأدبية التى يرجوها الأديب لعمله الأدبى ، والتى تنم عن عبقريته ومدى تأثره بذلك النتاج الأدبى ، وبراعته فى تلوينه وتشكيله ليظهر فى عيون القراء بصورة واضحة مرضية .

وقد عرف الدكتور/ محمد نايل الصورة الأدبية فقال: " يراد بهذا الصورة: تلك الظلال والألوان التى تخلعها على الصياغة الأفكار والمشاعر، وهى الطريق الذى يسلكه الأديب لعرض أفكاره وأغراضه عرضًا أدبيًا مؤثرًا ، فيه طرافة ومتعة وإثارة ، هذه الصورة التى يلونها الخيال ويجلوها من خلال المشاعر ، ويعلو بها عن أصلها الحقيقى الواقعى ، هى التى يسميها النقد الحديث: " الصورة الأدبية " [١] .

والصورة الأدبية تعد رمزًا مصدره اللاشعور ؛ لأنه أبلغ تأثيرًا من الحقيقة الواقعة ، فهو ماثل فى الخرافات والأساطير كما ذكر النقاد [٢] .

---

(١) اتجاهات وآراء فى النقد الحديث للدكتور/ محمد نايل ، ص٧٩ ، ط مطبعة الرسالة .

(٢) ينظر: التفسير النفسى للأدب للدكتور/ عز الدين إسماعيل ، ص٧٤ ، ط ١٩٦٣م – دار المعارف .

فإذا كانت الصورة الأدبية فى عرف النقاد بهذا المعنى ، فهل يمكن تطبيقها على نثر الحور العين ؟

فى الحقيقة إن الصورة الأدبية لكلام الحور العين ونثرهن الفنى لا يمكن تجاهلها ، وهى لا تنقص من القيمة الفنية لكلامهن المعجز ، فقد أطلت بنا على عالم الحور العين العجيب ، ورسمت لنا جمالهن الخارق وعلاقاتهن الغرامية بأزواجهن المؤمنين وإخلاصهن لهم فى لوحات فنية رائعة وكأننا بينهن ؛ مما جذب قلوبنا وأرواحنا إلى هذا العالم العجيب .

وإذا كنت لا أستطيع تجاهل الصورة الأدبية لأدبهن غير أنى بكل طمأنينة ، وثبات ، ويقين أرى أن الصورة الأدبية فى أدب الحور العين ليست كالصورة الأدبية التى تعارف عليها النقاد وطبقوها فى آدابهم .

فالصورة الأدبية التى عرفناها عند النقاد تعتمد أساسًا على الخيال بأنواعه الثلاثة وهى: التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، أما الصورة الأدبية فى أدب الحور العين فهى تعتمد أساسًا على الحقيقة المجردة التى لا مجال فيها للشك أو الخيال أو المبالغة .

وإن شئت أقول ولا أبالى: إن الصورة لأدبية لأدب الحور العين صورة حقيقية قد فاقت حد الخيال فى جمالها الفنى ، وبراعتها الفنية ، ولا غرو فى ذلك ، فالخيال قد يخطر بالنفس فيعبر عنه الأديب فى نتاجه الأدبى أما الصورة الأدبية لجمال الحور العين وحديثهن الرائع فلم تكن لتخطر أبدًا على قلب أحد من أدباء أهل الدنيا ؛ لأنها نابعة من الجنة التى حوت لما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وقد ترى الصورة الأدبية مصوغة فى ثوب التشبيه ، ولا يكون هذا التشبيه من باب التشبيه الخيالى أو المجازى ، بل هو تشبيه حقيقى واقعى .

ولا عجب فى أن يطلق التشبيه ويراد به الحقيقة الواقعية ، فقد جاء ذلك فى القرآن الكريم ، كما فى قوله – تعالى – فى قصة عرش بلقيس: ﴿ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ... ﴾ (١) .

فلا شك أنها قد رأت عرشها رؤية حقيقية ومع ذلك قالت " كأنه هو ... " .

فإن قيل : لم استعملت كأن التى للتشبيه وأرادت الحقيقة ؟ قلت: لما فاقت الحقيقة حد الخيال ، وأثارت فى النفس العجب العجاب استعملت كأن التى للتشبيه ؛ إشارة إلى الحقيقة التى خرقت قوانين العادة،وأثارت للعجب !

وهكذا ما جاء من التشبيه ؛ لبيان صفة الحور العين ، ووصف جمالهن ، كما فى قوله – تعالى ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (٢) ، فبياض أجساد الحور العين يفوق بياض البيض فى الحقيقة والواقع ، وكذا رقة بشرتهن ونعومتها ، ومن ثم فالتشبيه حقيقى واقعى ؛ لتصوير الأمر الغيبى وهو جمال الحور العين ، وإظهاره فى أروع صورة تعرفها النفس وهى: صورة بياض البيض النقى الصافى المحاط بقشرة جلدية رقيقة يحيط بها سائل يقال لها الغرقئ للحفاظ على لين البيضة ونعومتها ، كما هو محاط بقشرة صوانية من الخارج ؛ للحفاظ على تماسك البيضة وعدم ترهلها ، وللنفس أن تنطلق من

(١) آية رقم ٤٢ من سورة النمل .

(٢) آية ٤٩ من سورة الصافات .

هذه الصورة الحقيقية التى تعرفها ؛ ولتتعرف على جمال الحور العين ، ورقة بشرتهن ، ونعومتها ، وصفاء بياضها وستعرف بعد ذلك بأمر الله – تعالى – أن جمال الحور العين قد فاق هذه الصورة الحقيقية بمراحل كثيرة .

وقد تحدث النقاد فى العصر الحديث عن ما يسمى بالخيال العلمى الذى اهتموا فيه بتحريك الجماد ، وإنطاقه على سبيل الخيال العلمى ومثلوا منه أفلاما خاصة وسموها بأفلام الخيال العلمى .

وقد وجدت فى نثر الحور العين ما يفوق الخيال العلمى ، ففى حديث البيهقى عن ابن عباس أنه سمع رسول الله – ﷺ – يقول: " إن الجنة لتخبر وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان ، فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها: المثيرة تصفق ورق أشجار الجنات ، وحلق المصاريع ، فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه ... " (١) .

فأوراق أشجار الجنة تصفق فرحًا بقدوم شهر رمضان ، وكذا حلق أبوابها بأصوات جميلة حسنة لم تسمع الأذان مثلها بصورة حقيقية واقعية قد فاقت للخيال العلمى .

وفى حديث الطبرانى الذى روى قصة حوراء الخليفة المظلوم يقول النبى – ﷺ– :" بينا أنا جالس إذ جاءنى جبريل، فحملنى فأدخلنى جنة ربى – عز وجل – فبينا أنا جالس إذ جعلت فى يدى تفاحة فانفلقت التفاحة بنصفين

(١) شعب الإيمان للبيهقى تحقيق / محمد زغلول ٣/٣٣٥ ، ط ١٤١٠هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت .

فخرجت منها جارية لم أر جارية أحسن منها حسنًا ، ولا أجمل منها جمالا ، تسبع تسبيحًا لم يسمع الأولون والآخرون بمثله ... " [١] ، فأى تفاحة هذه التى تتحرك لتكون فى يد النبى بنفسها ؟ وأى تفاحة هذه التى تنفلق نصفين من تلقاء نفسها ؟

وأى تفاحة هذه التى تتسع ؛ لتخرج من وسطها جارية من الحور العين لم ير النبى – ﷺ – أجمل منها ؟

لا شك أن هذه الصور الأدبية تعد حقائق علمية قد فاقت للخيال العلمى ، ولا عجب فى ذلك ففى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وحديث الطبرانى السابق يبين مدى اشتراك عنصر الحركة فى تشكيل الصورة الأدبية لنثر الحور العين ؛ حيث تتحرك التفاحة ليجدها النبى – ﷺ – بين يديه ، ثم تتحرك لتنفلق نصفين ، ثم تتحرك لتخرج الحوراء من وسطها وتنطق فتسبح لله – تعالى – الذى خلقها فى أجمل صورة وأروع تقويم .

وترى عنصر الحركة واضحًا فى حديث يزيد بن شجرة الذى قال فيه النبى – ﷺ – : " ما تقدم عبد خطوة فى سبيل الله إلا اطلع عليه الحور العين ... ، فإذا قتل كانت أول قطرة تقطر من دمه كفارة لخطاياه ، وتأتيه اثنتان من الحور العين مع كل واحدة سبعون حلة لا يجاوز بين اصبعها تنفضان عنه التراب ، وتقولان: مرحبا قد آن لك [٢] .

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى ، تحقيق/ حمدى السلفى ٢١٩/١ .

(٢) سنن سعيد بن منصور ٢٥٨/٢ .

فالحركة واضحة فى قوله – ﷺ – " تنفضان عنه التراب " فهى حركة فعلية بأيديهن الجميلة الناعمة .

وبعد ذلك ترى عنصر الحجم واضحًا فى قول الحور العين: " مرحبًا قد آن لك " ، فالرحب بمعنى: السعة ، ولا عجب فى ترحيبهن ؛ لأنهن يسكن فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

وهذه الصورة تحكى نطق الحور العين وقولهن لمحبوبهن: " مرحبًا قد آن لك " ، ومن ثم فهى أيضًا تمثل عنصر الصوت فى نثرهن .

وقد ساهم عنصر الصوت أيضا فى تشكيل الصورة الأدبية فى نثر الحور العين فى تسبيحهن لله – تعالى – وغنائهن الذى سبقت الإشارة إليه [1] .

أما عنصر الرائحة فقد ساهم أيضا فى تشكيل الصورة الأدبية لنثر الحور العين ، وقد بدا واضحًا فى قصة عبد الواحد بن زيد الذى شفاه الله – تعالى – على يد حوراء العيون .

يقول عبد الواحد بن زيد: " أصابتنى علة فى ساقى فكنت أتحامل عليها للصلاة ... ، فبينا أنا كذلك إذا بجارية تفوق الدمى حسنا تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت على وهن خلفها ، فقالت لبعضهن: ارفعنه ولا تهجنة ... ، ثم قالت لغيرهن من الجوارى:

(١) ينظر: ص ٢٤٦٣ ، ٢٤٦٤ من البحث .

افرشنه ، ومهدنه ، ووطئن له ، ووسدنه ، ... ثم قالت: احففنه بالريحان ، قال: فأتى بياسمين فحفت به الفرش ، ثم قامت إلى، فوضعت يدها على موضع علتى التى كنت أجد فى ساقى ، فمسحت ذلك المكان بيدها ثم قالت: قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور ... ، فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتى تلك ، ولا ذهب حلاوة منطقها من قلبى ... " (١) .

فقولها: احففنه بالريحان ، يدل على ما حفت به الصورة الأدبية بروائح الريحان والياسمين الجنانية التى لا نظير لها فى عالم الدنيا ؛ جزاءً للمقربين من عباد الله المخلصين ، قال – تعالى – ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ (٢) .

أما عنصر اللون فقد تجلى واضحا فى رسم الصورة الأدبية لجمال الحور العين ، حيث اختار لهن النبى – ﷺ – أجمل الألوان فى بيان صفاتهن فيقول فيهن: " ألبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحلى مجامرهن الدر ، وأمشاطهن الذهب " (٣) .

فقد شكل أجسادهن باللون الأبيض النقى ، وثيابهن باللون الأخضر الزهى الذى يناسب الشباب والقوة بزهائه ونضرته ، وحليهن باللون الأصفر البهى الذى يناسب بياضهن ورقة أجسادهن .

---

(١) التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا ٣٢١/١ .

(٢) آية ٨٨ ، ٨٩ من سورة الواقعة .

(٣) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ .

ولك أن تتخيل الصورة الكلية لجمال أجسادهن البيضاء الناعمة والحلى الأصفر بأسورته وسلاسله وخلاخله وهو يلمع ويتلألأ بزهائه وصفرته فى أيديهن وأرجلهن وأعناقهن ، والثياب الخضراء الحريرة اللامعة وهى تتلألأ فوق أجسادهن البيضاء الناعمة فيا لجمالهن ، وحسن الحديث معهن !!

وترى الصورة الأدبية لنثر الحور العين ، وتصوير جمالهن ، تدور حول فكرة الدوام والخلود ، فبعد أن صور لنا النبى – ﷺ – جمالهن الخارق فى لوحات فنية رائعة بأسلوبه الأدبى الرفيع ، أشار إلى عذوبة منطقهن ، وحسن غنائهن ، فقال – ﷺ – يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبدًا !

ألا ، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدًا !

ألا ، ونحن المقميات فلا نظعن أبدًا !

ألا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا !

طوبى لمن كنا له وكان لنا ! " [1] .

فقد كتب الله – تعالى – لهن الدوام والخلود على حيويتهن وشبابهن ، وجمال أجسادهن ونعومة بشرتهن ، كما كتب لهن دوام الإقامة فى الجنة بلا خروج منها .

وأيضا كتب لهن دوام الرضا بلا سخط أبدًا ، فيا لسعادتهن وحسن متاعهن ! فأسعد السعداء من رضى بنعم الله –تعالى – عليه ؛ لأن السخط

(١) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ .

يفسد السعادة بالنعم ، ومن ثم فطاب عيش من تزوج بهن فكن له وكان لهن .

ومن هنا يتضح أن الصورة الأدبية لجمال الحور العين صورة طبعية حقيقية نموذجية لا نظير لها فى عالم الدنيا ؛ لأنها نابعة من وحى البيئة الجنانية الساحرة التى حوت لما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولا عجب فى ذلك ، فالديدان والحشرات التى تعيش بين النبات الأخضر تتجمل بشكله البهى ، فكيف بالحور العين اللائى خلقهن الله – تعالى – من زهر الزعفران الوردى وجمل روائحهن بالمسك الأذفر فى طبيعة خلقهن ؛ فضلا عن حيويتهن وجمال أرواحهن ؟

وهذه الصورة الأدبية النموذجية لجمال الحور العين قد صورت الجمال والتمتع به تصويرًا معجزًا دون الإخلال بجانب الحياء والأخلاق وهذا هو الفرق فى فلسفة الجمال بين " أدب الحور العين " ونظرية " الفن للفن " .

ونظرية (الفن للفن) كما ذكر أستاذنا الدكتور/ خفاجى قد نشأت فى فرنسا بعد عام ١٨٥٠م ، على أساس أنه من حق الأدب أن يصبح غاية فى ذاته ، وفنا للفن ، لا مجرد وسيلة للتعبير عن المشاعر الخاصة، ومن ثم فنظرية (الفن للفن) لا صلة لها بالمسألة الأخلاقية [١] .

والحق إن هذه النظرية كان لها ما يشابهها فى تراثنا الشعرى القديم ففى شعر امرئ القيس ، وعمر بن أبى ربيعة ، وأبى نواس ما يدل على ذلك .

(١) ينظر: دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه للدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى ، ص١٥٤ : ١٥٥ ، ط دار الطباعة المحمدية.

وهذه النظرية وإن كانت موجودة فى تراثنا الشعرى القديم ، إلا أنها كانت تعد لونًا من ألوان التهتك والفجور ، فلم ترتد لباس المشروعية ، حتى إن الشعراء المتجاهرين بالفسق أنفسهم كانوا يعلمون بمخالفاتهم للتقاليد والأعراف العربية الأصيلة فضلًا عن تقاليد الشرع الإسلامى الحنيف .

يقول عمر بن أبى ربيعة [1] :

ولولا أن تعنفنى قريش مقال الناصح الأدنى الشفيق

لقلت إذا التقينا قبلينى ولو كنا على ظهر الطريق

فهو يعلم أن تقاليد قريش لن يستطيع أن يتحلل منها ويتحرر ليتمتع بالجمال فى حرية وانطلاق .

ومن هنا أرى أن أستاذنا الدكتور/ خفاجى قد عد أن نشأة هذه النظرية كان فى فرنسا بعد عام ١٨٥٠م على أساس أنها قد ارتدت لباس المشروعية فى ذلك الوقت وكان لها مؤيدوها .

وقد عد مؤيدوا هذه النظرية أن الفن غاية فى نفسه ، وأن قيمته فى داخله ، والوقوع عليه كان للمتعة به ، وهدف المفتن هو الجمال ، وكل من

(١) ديوان عمر بن أبى ربيعة ، ص١٣٨ ، بحر : الوافر ، ط ١٩٧٨م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

يهدف إلى غير الجمال ليس بمفتن ، ويجب أن يمتع العمل الفنى الأحاسيس وحدها ، وليس له أن يهتم بإمتاع الروح [١] .

ومن هنا اهتم أصحاب هذه النظرية بفلسفة الجمال الفنى والتمتع به فساروا يلهثون وراء هذا الجمال وشهواته ونزواته أينما وجد أو كان ، بأى طريقة كانت دون تفريق بين حلال أو حرام ، فتفننوا فى تصوير الجمال وإبرازه فى صورة تشتهيها النفس وتتمتع بها بكل طلاقة وحرية .

وفى شعر امرئ القيس وعمر بن أبى ربيعة غزل حسى كاشف يصور مواطن الأنوثة تصويرًا فاحشًا يعف اللسان عن ذكره ، بل وقد يصوران أنثى بعينها ، ويشنعان بها ، فيصوران علاقتهما بها بلا رادع دين أو حياء .

أما أبو نواس فلم يكتف بالغزل الأنثوى ، بل انطلق ليصور جمال الغلمان تصويرًا حسيًا كاشفًا ، أفصح فيه عن علاقاته المنحرفة بهم ، ومدى متعته بجمالهم ؛ مما يعد لونًا من ألوان الشذوذ الذى تنفر منه النفس الإنسانية.

وهكذا سار أصحاب نظرية (الفن للفن) فى تصوير الجمال والمتعة متحررين من القيود والأعراف ؛ حتى يصلوا إلى درجة لا مثيل لها من المتعة والجمال .

---

(١) ينظر: المذاهب النقدية بين النظرية والتطبيق تأليف د/ محمد السعدى فرهود ، ص٩٩ ، ١٠٠ ، ط ١٣٩٢هـ ، دار الطباعة المحمدية – القاهرة .

والحق أننى وجدت فى نثر الحور العين تصويرًا رائعًا للجمال النقى والمتعة المشروعة بطريقة مثالية لا توازن بالفلسفة الجمالية عند أصحاب نظرية (الفن للفن) .

ففى قصة حوراء الخليفة المظلوم صور لنا النبى – ﷺ – جمال هذه الحوراء، وحسن حوارها معه بطريقة مثالية رائعة لا تخدش الحياء .

يقول النبى – ﷺ – : " بينا أنا جالس إذ جاءنى جبريل فحملنى فأدخلنى جنة ربى، فبينا أنا جالس إذ جعلت فى يدى تفاحة ، فانفلقت التفاحة بنصفين ، فخرجت منها جارية لم أر جارية أحسن منها حسنا ولا أجمل منها جمالًا ، فقلت لها: من أنت يا جارية ؟ فقالت: أنا من الحور العين ، خلقنى الله – عز وجل – من نور عرشه ... " (١) .

فهذه الحوراء لم تترب فى ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة وما يتبع ذلك من دماء فاسدة ، ولم تتخلق من نطفة مذرة ؛ لتصبح بعد ذلك جيفة قذرة .

وقد أعربت هذه الحوراء عن سر جمالها وطبيعة خلقها ، فقالت: " أنا من الحور العين خلقنى الله – عز وجل – من نور عرشه " .

فقد وصفت نفسها بسعة العينين مع شدة بياض بياضهما ، وزهاء لون ولدهما ، وملاحة العين تدل على صحة الجسد وجماله ، كما أفصحت عن سر هذا الجمال الذى يكمن فى طبيعة خلقها من نور عرش الرحمن .

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٢١٩/١ .

ومن المعروف أن النور هو سر الجمال ، كما أن الظلام هو سر القبح فمن أهدى الله إليه ذرة من النور ، كست وجهه حللًا من الجمال والبهاء ، فكيف بمن خلقها الله – تعالى – من نور عرشه ؟ فيا لحسنها وجمالها ! ، وصدق رسول الله – ﷺ – حيث قال: لم أر أحسن منها حسنا، ولا أجمل منها جمالًا .

وقد ذكرت قبل ذلك أن الديدان والحشرات التى تعيش بين النبات تتجمل بشكله ولونه ، فكيف بهذه الحوراء التى ولدت من بين فلقتى التفاحة ؟

وقد أراد الله لها أن تتجمل بشكل التفاح الأصفر الجميل ، وكأنه أبيض مشرب بالحمرة ، وهو أجمل ألوان النساء ؛ كما أراد – جل وعلا – لها أن تتروح بروائح التفاح الجميلة العطرية ، ومن ثم فلم تتبول ،ولم تتغوط وكان رشحها المسك ؛ لأنها خلقت من نور بهى ، وجمل الله رائحتها بروائح التفاح الجميلة العطرية ، فكيف بجمالها والمتعة بها ؟ فهنيئًا كل الهناء لزوجها الخليفة المظلوم عثمان بن عفان – ﷺ – .

ولا شك أن مثل هذا الجمال لم يصل إلى أصحاب نظرية (الفن للفن) ؛ حتى يعبروا عنه .

وروى لنا ابن أبى الدنيا قصة سهل العراقى مع حوراء العيون كما رآها سهل فقال: " أريت فى منامى قصرا من قصور الجنة ، فإذا لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، فلما تم البناء إذا شرفه من زبرجد ، وشرفة من ياقوت ، وبينهما حوراء من الحور العين مرخية شعرها ، عليها ثوب من فضة ، ينثنى

معها كلما تثنت ، فقالت: يا سهل ، جد إلى الله فى طلبى ، فقد (والله) جددت إليه فى طلبك " [١] .

فقد اجتهدت هذه الحوراء لتطلب من ربها ؛ لتظهر لمحبوبها بهذا الحال المعجز ؛ حتى تكون سببا فى هدايته ، فبرزت له من بين نوافذ قصر شاهق جميل ، وشعرها يتدلى على جسدها فى نعومة ورقة وجمال ، وهى ترتدى ثوبا فضيا لامعًا يتراقص بتراقصها ، ويخضع لرغبتها فى جميع حركاتها وسكناتها ، وهى صورة جمالية ممتعة لم تصل إليها عقول أصحاب نظرية (الفن للفن) ولم ترها عيونهم .

وفى إقبالها عليه بهذه الصورة الجمالية الممتعة قد جعلته يجتهد فى عبادته لربه ؛ ولذا قال لصاحبه: فهذا الاجتهاد الذى كنت تراه فى طلبها .

وفى وصف القرآن الكريم لجمال الحور العين صورًا جمالية ممتعة لا نظير لها فى نساء أهل الدنيا ، كما فى قوله – تعالى- ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [٢] .

وقد سبق شرح هذه الآيات وبيان ما فيها من جمال الأنوثة التى لا نظير لها [٣] ، وكفى فى ذلك أنهن كلما افتضت بكارتهن أعادها الله – تعالى – للتلذذ بها مرة أخرى كما كانت أول مرة بطريقة تلقائية ، وأى جمال أمتع من ذلك ؟

---

(١) المنامات لابن أبى الدنيا ١٣٩/١ .

(٢) الآيات رقم ٣٥ : ٣٧ من سورة الواقعة .

(٣) ينظر ص ٢٤٥٣ ، ٢٤٥٤ من البحث .

يقول النبى – ﷺ – : " إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارًا " (١) .

وقد جد فى هذا العصر ما يسمى بعمليات الترقيع للبكارة فى الاحتفال بأعياد الزواج ، التماسًا لبكارة الشباب الطبيعية ، لكنها ليست أبدًا كالبكارة الطبيعية ، فضلًا عن ما يصحب عمليات الترقيع من عواقب وخيمة وآلام مفزعة .

وعادة البكر أن تغطى أنوثتها بجانب الحياء والخجل ، لكن الحور العين مع بكارتهن قد جملهن الله – تعالى – بحسن التبعل ، فيفصحن عن جمال أنوثتهن بالأقوال ، والأفعال ، والحركات ، والسكنات ، فتميل إليهن قلوب أزواجهن .

وأيضًا صور لنا القرآن الكريم جمال ثدى الحور العين فى قوله – تعالى ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ (٢) .

يقول الفخر الرازى: " كواعب : جمع كاعب ، وهن النواهد اللائى تكعب ثديهن وتفلك ، أى: يكون الثدى فى النتوء كالكعب والفلكة " (٣) .

ويقول العلامة الألوسى فى تفسيره: " وكواعب : جمع كاعب وهى المرأة التى تكعب ثدياها واستدار مع ارتفاع يسير ، ويكون ذلك فى سن البلوغ " (١) .

---

(١) المعجم الصغير للطبرانى ١/١٦٠ ، ط الأولى .

(٢) آية رقم ٣٣ من سورة النبأ .

(٣) تفسير الفخر الرازى ١/٤٦٤٩ .

والكعب يوحى بقوة الثدى وتماسكه وعدم تدليه وترهله ، فضلًا عن بياضه ونعومته ورقة بشرته، وهو محور الأنوثة،ومن ثم فتكعيبه مع استدارته ونهوده يدل على رشاقة الجسد ونمو الهرمونات الأنثوية فيه.

لا شك أن هذه الفلسفة الجمالية تعد فلسفة نموذجية انطلق منها نثر الحور العين ؛ ليعبر عن جمالهن فى أتم صورة ، وأصدق تعبير ، وهيهات هيهات أن تجد من نظرية (الفن للفن) جمالًا يمثل شيئًا من جمال الحور العين ، ورقتهن ، وحسن التمتع بهن .

فإن قيل: إن النقاد قد نقدوا نظرية (الفن للفن) فى تصوير المواطن الأنثوية الحساسة تصويرًا كاشفًا مع وجود شئ من ذلك فى نثر الحور العين .

قلت: إن الحديث عن جمال الحور العين قد جاء بأسلوب أدبى معجز لا يخدش الحياء ، فمثلا: الذى يقرأ قول الله – تعالى ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ [٢] لا يدرى بمراد الله منها إلا بعد البحث والتعمق فى كلام المفسرين ، بخلاف أصحاب نظرية (الفن للفن) ، فقد يعبرون بألفاظ سوقية كاشفة تثير الغرائز والشهوات من أول وهلة .

هذا بالإضافة إلى أن أدب الحور العين أدب هادف يدعو إلى نشر الفضيلة بين الناس ؛ لأن المؤمن إذا حدثته نفسه بجمال لا يحل له ، ذكرها

(١) روح المعانى للألوسى ١٨/٣٠ .
(٢) آية ٣٣ من سورة النبأ .

بجمال الحور العين ، والتمتع بهن فى الجنة ؛ حتى يرجع إلى رشده ، وشتان بين جمال الحور العين ، وجمال جميلات أهل الدنيا .

روى البخارى فى صحيحه ، والترمذى فى سننه أن رسول الله – ﷺ – قال: " لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ، ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها " [١] .

لا شك أن تصوير جمالهن يدعو إلى المنافسة فى فعل الخيرات وترك المنكرات أما أصحاب نظرية (الفن للفن) ، فهم يصورون جمالًا يحمل فى باطنه كل القبح والدمامة ؛ لأنهم لا يتقيدون فيه بشرائع المجتمع وتقاليده ؛ حتى يصلوا إلى قمة الجمال والمتعة ، ومع ذلك فجمالهم – فى ظاهره – لا يمثل شيئًا من الجمال الذى صوره نثر الحور العين والمتعة به ، فضلًا عن باطن ذلك الجمال المتحرر الذى يفوح بالقذارة والرذالة ؛ لأنه قد يؤدى إلى فساد المجتمع ، واختلاط الأنساب ، وإشاعة الفتن والقتل بين أفراد المجتمع .

ومن هنا قامت نظرية (الفن للحياة) على أنقاض نظرية (الفن للفن) يقول أستاذنا الدكتور/ خفاجى : " مذهب " الفن للحياة " ، أو " المذهب الواقعى " : هو الذى يرى أن الأدب مصدره الجماعة وروح الشعب فهو ثمرة إحساسها ونتيجة تفكيرها ، ومن ثم يجب أن يكون موجها لخدمتها ، والسمو

(١) صحيح البخارى ١٧/٤ ، سنن الترمذى ، تحقيق/ أحمد شاكر ١٨١/٤ ط دار إحياء التراث العربى – بيروت .

بها ، ولهذا حاول بعض النقاد أن يربطوا بين الأدب ، والأخلاق والمثل ، فالأدب عندهم لابد أن يكون عندهم أدبا هادفا يدعو إلى تغليب عامل الخير والثقة بالإنسان وقدرته " [١] .

ويمكن تلخيص الفرق بين النظريتين فى أن نظرية (الفن للفن) تنظر إلى الفن كمتعة عادية أو غير عادية ، وتمجد التجربة لذاتها وكيفية تناولها ، ومن ثم فهذه النظرية لا صلة لها بالمسألة الخلقية ، وارتباطها بالأدب ، بخلاف نظرية (الفن للحياة) التى تمجد التجربة لثمرتها ، ونفعها وتوجيهها للمجتمع [٢] .

وإن شئت أقول: إن نظرية " الفن للحياة " لم تكتف بالنظرة السطحية للجمال أو الجمال الظاهرى ، بل تجاوزت هذه النظرة إلى النفاذ فى أعماق الجمال والتعمق فى جذوره وأصالته وعراقته؛ليجمع بين حلاوة الشكل، وحسن الأخلاق؛ ومن ثم يدعو إلى إصلاح المجتمع وحب الحياة .

هذا بخلاف الجمال الظاهرى الزائف الذى قدسته نظرية (الفن للفن) دون أن تنظر إلى عواقبه الوخيمة التى تؤدى إلى فساد المجتمع .

وقد يظن البعض أن الجمال النابع من نظرية " الفن للفن " أمتع من الجمال النابع من نظرية (الفن للحياة) ؛ لتحرره من قيود العرف والشرع ،

---

(١) دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه للدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى ، ص١٥٤.

(٢) ينظر: دراسات فى النقد الأدبى الحديث للأستاذ الدكتور/ على محمد طلب ، ص٤٠ ط سنة ١٩٩٩م ، مطبعة مختار – أسيوط .

لكنه وإن كان ذلك فى ظاهره ، إلا أنه يحمل فى باطنه رائحة الخبث والقذارة وهل يتذوق جمال الخبيث إلا أهل الخبث ؟

وقد ذكرت قبل ذلك أن نثر الحور العين قد صور جمالهن الخارق ومدى التمتع به تصويرًا يفوق بمراحل كثيرة للجمال الظاهر المنشود عند أصحاب نظرية " الفن للفن " مع تحررها من كل شئ سوى الجمال والمتعة ، فما موقف نثر الحور العين من نظرية " الفن للحياة " ؟

فى الحقيقة رأيت فى نثر الحور العين العجب العجاب – فمع تفوقه – على أصحاب نظرية " الفن للفن " تفوقًا لا نظير له فى تصوير الجمال الظاهرى أراه ايضا يراعى مسألة الأخلاق مراعاة لا نظير لها عند أصحاب نظرية " الفن للحياة " .

وقد صور القرآن الكريم جمال أخلاق الحور العين فى قوله – تعالى ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [1] ، يقول العلامة البغوى: (فيهن قاصرات الطرف) غاضات الأعين ، قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ، ولا يردن غيرهم ، قال ابن زيد: تقول لزوجها: وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيئًا أحسن منك ، فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك " [2] .

(١) آية رقم ٥٦ من سورة الرحمن .

(٢) معالم التنزيل لمحيى السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى ، تحقيق/ محمد عبد الله النمر ٤٥٣/٧ ، ط الرابعة ١٤١٧هـ – دار طيبة .

وهذا يدل على أن العلاقة بين المؤمنين والحور العين فى الجنة علاقة زواج شرعى ، وليه هو: الله أحكم الحاكمين ، ومهره هو: التقرب إليه – جل وعلا – بتوحيده وحسن عبادته ، وهو لا يحتاج إلى شهود وإن أشهد عليه ملائكته المقربين ؛ لأن وليه أحكم الحاكمين الذى لا يعزب عنه مثال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين .

وكل حوراء من الحور العين تعرف زوجها الذى قدره الله – تعالى لها معرفة شخصية باسمه وصفته ، فلا تتمنى غيره ، وفى قصة حوراء الخليفة المظلوم ما يدل على ذلك ؛ حيث يسألها النبى – ﷺ – : لمن أنت ياجارية ؟ فتقول: أنا للخليفة المظلوم عثمان بن عفان – ﷺ – [1] .

وفى حديث أنس بن مالك – ﷺ – عن النبى – ﷺ – قال: " إن الحور العين ليغنين فى الجنة يقلن: " نحن الحور الحسان خلقن لأزواج كرام"[2] .

فهن حسان الخلق والخُلق ، وقد جمل الله – تعالى – فى خلقهن ، ليثيب بهن عباده الطاهرين الكرام ، ومن ثم فالعلاقة بهن علاقة نساء طاهرات برجالٍ طاهرين ؛ ليجمعن بين جمال الظاهر وحلاوة الباطن وأصالته .

وهكذا توج الله – تعالى – جمالهن والمتعة بهن بتاج العفة والحياء؛ حتى إن المؤمن إذا تمتع بزوجاته من الحور العين لا يرى بعضهن بعضا ، ففى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى – ﷺ – قال: " إن

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٢١٩/١ .

(٢) كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٥١٨/١٤ .

للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا " .

وفى لفظ لهما: فى كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون "[١].

وذكر ابن القيم أن هذه الخيم غير الغرف والقصور ، بل هى خيام فى البساتين ، وعلى شواطئ الأنهار ، وذكر ابن عباس فى تفسير قوله – تعالى –﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [٢] ، قال: الخيمة درة م لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ، ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخا يدخل عليهم من كل باب منها ملك بهدية من عند الله –عز وجل– وذلك قوله﴿ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾. [٣]

وهذه الخيام اللؤلؤية التى على شواطئ أنهار الجنة تعد لونًا من ألوان الترفيه العالى ، كما تعد لونًا من ألوان الرومانسية الحقيقية التى لا خيال فيها ، ولا مبالغة ، فهى تفوق بمراحل كثيرة للشاليهات المستحدثة على شواطئ البحار فى هذه الأيام ، فيا للمتعة والجمال !

وإذا كانت نظرية (الفن للحياة) قد دعت إلى حياة مثالية فى عالم الدنيا فنثر الحور العين لم يقتصر فضله على نشر الفضيلة والمتعة الأخروية ، بل بدأ بنشر الفضيلة فى عالم الدنيا وتنظيم حياة المجتمع فيها، فخلق لنا

---

(١) الجمع بين الصحيحين البخارى ومسلم لمحمد بن فتوح الحميدى ١٧١/١ ، ط الثانية ١٤٢٢هـ – دار ابن حزم – بيروت .

(٢) آية رقم ٧٢ من سورة الرحمن .

(٣) ينظر: حادى الأرواح ، ص٢٠١ ، الآية رقم ٢٣ من سورة الرعد .

عبادًا وزهادا فى الدنيا فكانوا حسنة من حسنات الله بين خلق الله ، ولا عجب فقد دعا الحور العين إلى الله – تعالى – بالحكمة والموعظة الحسنة وحسن جمالهن الخارق ، فأصبن الهدف من أول وهلة وأثرن فى محبوبيهن تأثيرًا عجيبًا .

ففى قصة أبى سليمان الدارانى مع حوراء العيون لما نام فى صلاته ركضته برجلها وقالت له: حبيبى !

أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟

أترقد عيناك وأربى لك فى الخدر منذ كذا وكذا ؟

وفى نهاية القصة يقول أبو سليمان: فوثبت فزعًا ، وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياى ، وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وعقلى [١] .

وترى العجب العجاب فى قصة عبد الواحد بن زيد مع حوراء العيون التى كانت سببا فى شفاء علته ، وفى نهاية هذه القصة يقول عبد الواحد بن زيد: فاستيقظت (والله) وكأنى أنشطت من عقال ، فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتى تلك ، ولا ذهب حلاوة منطقها من قلبى ، قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور [٢] .

(١) ينظر: القصة فى : شعب الإيمان للبيهقى ١٨٣/٢ .

(٢) ينظر: القصة فى كتاب: التهجد وقيام الليل ٣٢١/١ .

وفى قصة سهل العراقى مع حوراء العيون تراه يعزف عن الطعام والشراب واللهو والسمر ، وينشغل بالصلاة والصيام لله – تعالى – ؛ من أجل أن يستمتع بحوراء العيون فى الجنة [١] .

ومن هنا أرى أن نثر الحور العين يعد أدبا إسلاميًا هادفًا ، حيث يهدف إلى المنافسة فى فعل الخيرات وترك المنكرات ، وتنمية الحس الجمالى لإدراك الجمال الخالد ممثلًا فى جمال الحور العين ورقتهن وحسن كلامهن ، ويمثل لونًا عجيبًا من ألوان الدعوة إلى الله – تعالى – بالحكمة والموعظة الحسنة ، فله أثره الواضح فى هداية من أراد الله به الخير فى الدنيا والآخرة ؛ لأنه كلام نابع من الجنة بوحى من الله – تعالى – على لسان أهل الجنة ؛ ليوصل إلى نعيم الجنة .

وهكذا صور نثر الحور العين للجمال والمتعة تصويرًا نموذجيًا كاملًا ، فكشف عن جمال حسى يفوق فى متعته بمراحل لا نهاية لها – الجمال المنشود عند أصحاب نظرية " الفن للفن " مع تحررها من قيود الشرع والإنسانية .

وقد توج هذا الجمال الحسى الظاهر بجمال باطنى يكمن فى عفة وطهارة الحور العين وحسن أخلاقهن مع طهارة أزواجهن من المؤمنين ، وهذا الجمال الباطنى يفوق فى حسنه وأصالته بمراحل لا نهاية لها للجمال الخلقى المنشود عند أصحاب نظرية " الفن للحياة" ، كما كشف هذا الجمال عن خبث نظرية" الفن للفن " ومدى قذارة باطنها ؛ لأنها تدعو إلى الرذيلة وفساد المجتمع .

---

(١) ينظر القصة فى كتاب : المنامات لابن أبى الدنيا ١/١٣٨ ، ١٣٩ .

ولست أبالغ فى شئ إن قلت : إن نثر الحور العين قد صور لنا جمالًا ظاهرًا وباطنًا لا نهاية له ولا مثيل له ، وخير دليل على ذلك ما رواه الطبرانى فى غناء الحور العين ؛ حيث يقلن:

" نحن الخالدات فلا نموت أبدًا !

ألا ، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدًا !

ألا ، ونحن المقيمات فلا نظعن ابدًا !

ألا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا !

طوبى لمن كنا له ، وكان لنا ! " [(١)] **.**

فحياتهن وإقامتهن فى الجنة دائمة بلا موت أبدًا إلى ما لا نهاية ، وجمالهن ونعومة أجسادهن دائمة أبدًا بلا خشونة أو شقاء إلى مالا نهاية، ورضاهن بعيشهن وقوة وجمال وطهارة أزواجهن دائم أبدًا بلا سخط إلى مالا نهاية له ، فطاب عيش واستمتاع من زوجه الله – تعالى – بهن ، فكتبهن له ، وكتبه لهن .

(١) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٨/٣ .

الخاتمـة

الحمد لله الذى جمل الآخرة وجعلها دارًا للخلود والبقاء ، وقبح الدنيا وجعلها دارًا للغرور والفناء ، وأصلى وأسلم على سراج العلماء ، ومجد الأولياء ،وإمام المرسلين والأنبياء ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؛؛؛ وبعد ؛؛؛

فقد تم بحمد الله – تعالى – وتوفيقه دراسة نثر الحور العين ، وتحليل قصصه ، وموضوعاته ، وبيان خصائصه الفنية مع دراسته من الناحية النقدية فى ضوء نظريتى (الفن للفن) ، (والفن للحياة) ، وقد تمخض هذا البحث عن كثير من الثمار والنتائج النافعة التى من أهمها:

١- فتح هذا البحث الطريق نحو أدب جديد لم تعرفه أقلام الأدباء ، والنقاد حتى عصرنا هذا ، ألا وهو: أدب الحور العين الذى اخترق عالم الحور العين ، فصورهن أدق تصوير فى قصورهن الجنانية العالية .

٢- عقبت فى هذا البحث على ما ذكره علماء اللغة فى مفهوم الحور العين ، فتوسعت فى هذا المفهوم بما يتناسب مع جمال الحور العين وحلاوة ألوان عيونهن دون أن أناقض قواعد اللغة فى شئ ، واستدللت على ذلك بشواهد من الحديث النبوى الشريف ، والشعر العربى الأصيل .

٣- أشار هذا البحث إلى أهم المقاييس النموذجية لجمال الأنثى من خلال صفات جمال الحور العين ؛ ومن ثم يكون هذا البحث قد أهدى إلى

النقاد وفلاسفة علم الجمال هدية لا نظير لها عندهم ؛ حيث وضع مقاييسًا نموذجية لجمال المرأة لا خطأ فيها ؛ لأنها نابعة من صفات جمال الحور العين التى أشار إليها القرآن الكريم ، والحديث النبوى .

٤- كشف هذا البحث عن منثور كلام الحور العين العذب الرشيق النابع من أفواههن الجميلة الرقيقة بلغة عربية فصيحة من بين بيئة جنانية عالية ؛ ليكون هذا الكلام الرفيع عنوانًا لهذه البيئة العالية التى لا مثيل لها .

٥- أضاف هذا البحث إلى عالم العشاق كثيرًا من القصص الغرامية الهادفة ، والتى لا نظير لها فى الآداب العربية والأجنبية ؛ حيث ربطت هذه القصص بين عالمين متناقضين هما: عالم الدنيا ، وعالم الآخرة ، فالعاشقة: حوراء العيون ، تعيش فى عالم الآخرة ، ومحبوبها يعيش فى عالم الدنيا ، وهى تنظر حاله وتحثه على الاستمرار فى عبادته ، وحسن طاعته لربه ؛ حتى يجعل الله – تعالى – من هذه العبادة مهرًا لها ، فيزوجه منها ؛ ليستمتع بها ، وتستمتع به فى قصور الجنة العالية فوق أنهارها الجارية بلا هم ولا نصب ، ولا تعب .

٦- عصم الله – تعالى – نثر الحور العين من الفشل ، وميزه بالنجاح وإصابة الهدف من أول وهلة ؛ لما أودع الله – جل وعلا – فيهن من جمال خارق ، وحكمة معجزة ، فما من قصة إلا وتنتهى بصلاح حال

المحبوب وزيادة إيمانه بمجرد رؤيته لحوراء العيون دون مراء منه أو جدال .

٧- يعد هذا البحث إضافة حقيقية إلى الأدب الإسلامى الذى خلت كتبه ومؤلفاته تمامًا من نثر الحور العين ؛ مما يدل على غيابه عن أعين الأدباء والنقاد مع علو قيمته ، وعموم فائدته ، وغرضه : المنافسة فى فعل الخيرات وترك المنكرات ، وتنمية الحس الجمالى ؛ لإدراك الجمال الخالد الذى أعده الله – تعالى – لعباده الطائعين ممثلًا فى جمال الحور العين ورقتهن ، وحسن كلامهن .

٨- يعد هذا البحث أيضًا لونًا من ألوان تجديد الخطاب الدينى ، والدعوة إلى الله – تعالى – بالحكمة العالية ، والموعظة الحسنة ، لا سيما ونحن نعيش فى عالم يلهث شبابه وراء شهواتهم ونزواتهم ، ويقدسون الجمال الحسى أيما تقديس ، فإذا قرأوا عن عالم الحور العين ، وعلموا بمدى جمالهن الخارق ، واستعدادهن للحب الصادق والغرام النبيل ، ومتعة المؤمنين بهن فى الجنة ، أعادوا النظر فى حياتهم مرات ومرات ، وتمنوا الاستقامة على منهج الله – تعالى – فى كل شئ .

٩- رغب هذا البحث فى كثير من أعمال البر التى تعد مهرًا للحور العين فى الجنة مثل: صلاة التهجد والقيام ، وكثرة الصيام ، والذكر ، والتسبيح ، وقراءة القرآن ، وكظم الغيظ ، والصبر على المكاره .

١٠- كشف هذا البحث عن جمال غناء الحور العين ، ورقة ألفاظهن وحسن أسلوبهن مع جزالته وفصاحته ، وسمو معانيه وأفكاره الصادقة القوية التى تريح النفس ، والقلب ، والعقل ؛ لأنها تبشر بنعيم دائم لا ينتهى ، ومتعة خالدة لا موت فيها،ولا حقد ولا شقاء ، ولا غل ولا حسد ولا عناء ، وقد جاء الأسلوب معجزًا فى دقته وملاءمته لمعانيه .

١١- تحدث هذا البحث عن مدى إعراب الحور العين عن حبهن لأزواجهن فكشف عن عاطفة نموذجية جمعت بين الصدق الفنى والخلقى فى وقت واحد ولم تخضع لتجربة أدبية سابقة ، وقد ترددت بين القوة ، والشدة ، واللين على حسب حكمتهن الرفيعة فى هداية المحبوبين .

١٢- كشف هذا البحث عن إيقاع موسيقى رائع فى نثر الحور العين نتج عنه موسيقى داخلية : تمثلت فى اختيار الألفاظ والأساليب الدقيقة الموحية، وأخرى خارجية : تمثلت فى الموازنة التى فاقت وزن الشعر العمودى ، كما تمثلت فى السجع غير المتكلف الذى فاق قافية الشعر العمودى ، والذى بدا واضحًا فى أحاديث الطرب والغناء،فضلًا عن جمال المعانى والأفكار التى ذابت فى الأساليب ؛ لتبعث على إيقاع موسيقى يحث على: الحب والتفاؤل ، وحسن العبادة مع الأنس والمتعة ، وشكر صاحب النعم .

١٣- كشف هذا البحث أيضًا عن صور أدبية جديدة لم تعتمد(لأول مرة) على الخيال كما هو معتاد عند النقاد والأدباء ، وإنما اعتمدت على

الحقيقة الواقعية المجردة التى لا مجال فيها للخيال والمبالغة ، وقد فاقت الخيال فى روعتها وجمالها بمراحل لا نهاية لها .

١٤- أوغل الحور العين فى بعض صورهن الأدبية الحقيقية، ففقن فيما ما يسمى بالخيال العلمى الذى أدهش النقاد فى العصرالحديث .

١٥- كشف هذا البحث عن جمال معجز ، ومتعة خالدة تفوق المتعة المنشودة عند أصحاب نظرية (الفن للفن) بمراحل لا نهاية لها ، وأشار إلى قصور هذه النظرية ، ومدى دناءة جمالها الحسى الزائف؛ لتحررها من قواعد الشرع الحنيف ، وتقاليد الفطرة النقية ؛ مما أودى بها إلى فساد المجتمع ، وهلاكه .

١٦- صور هذا البحث عفة الحور العين وطهارة أخلاقهن بطريقة نموذجية تفوق الجمال الخلقى المنشود عند أصحاب نظرية (الفن للحياة) بمراحل لا نهاية لها أيضًا ؛ ليجمع نثر الحور العين بين متعة وجمال الظاهر ، والباطن ، فيعمل على إصلاح المجتمع فى الدنيا ؛ لنيل المتاع الأبدى فى الآخرة .

١٧- وفى ختام هذا البحث أوصى نقاد أدب المرأة ، وفلاسفة علم الجمال بدراسة نثر الحور العين للخروج منه بمقاييس نموذجية للجمال قد عصمها الله – تعالى – من النقص البشرى ، كما أوصى الدعاة بتذكير المسلمين بالأحاديث والقصص التى صورت جمال الحور العين ،وحوارهن مع أزواجهن ، وغناءهن لهم فى الجنة ؛ حتى يزهد الجميع فى دار الغرور ، ويعملوا لدار الثواب ، والسرور .

١٨- وأخيرًا أوصى أدباء ونقاد هذا العصر بترقيع وإصلاح مقررات الأدب الإسلامى ، وتزيينها بنصوص من نثر الحور العين ؛ ليؤدى الأدب الإسلامى مهمته السامية فى تربية وتهذيب أخلاق المسلمين ، كما أوصى إخوانى من الباحثين والباحثات بالاطلاع على نثر الحور العين ، وفحص وتحليل خصائصه الفنية الجديدة التى خرقت لقواعد النقد الفنى التى أجمع النقاد عليها مثل: الصورة الأدبية التى اعتمدت على الحقيقة الواقعية المجردة ، ولم تعتمد على الخيال كما هو معروف عند النقاد .

هذا وأرجو من الله – تعالى – أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن يغفر لى ما كان فيه من زلات ، وأن ينفعنى به ، والمسلمين والمسلمات ، وأن يجعله فى ميزان حسناتى ، وحسنات من أشاد به وقومه؛ لينفع الله – تعالى – به الباحثين والباحثات .

وحسبى أننى بشر أصيب وأخطئ ، فأتوب ، وكل ابن آدم خطاء ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله فى غرة ذى الحجة عام ١٤٣٦هـ

الفهـارس الفنيـة

أولًا: أهم مصادر نثر الحور العين .

١- التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا ، تحقيق/ مصلح الحارتى ، ط الأولى ١٩٩٨م ، مكتبة الرشيد – الرياض .

٢- جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير الجزرى ، تحقيق/ عبد القادر الأرنؤوط ، ط الأولى – دار البيان .

٣- الجمع بين الصحيحين البخارى ومسلم لمحمد بن فتوح الحميدى ، تحقيق د/ على البواب ، ط الثانية ١٤٢٣هـ ٠ دار ابن حزم – بيروت .

٤- حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى ، ط الرابعة ١٤٠٥هـ – دار الكتاب العربى – بيروت .

٥- سنن ابن ماجة ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى ، ط دار الفكر – بيروت .

٦- سنن الترمذى ، تحقيق / أحمد محمد شاكر ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان .

٧- سنن سعيد بن منصور الخرسانى الجوزجانى ، تحقيق/ حبيب الأعظمى ، ط الأولى ١٤٠٣هـ – الدار السلفية – الهند .

٨- شعب الإيمان للبيهقى ، تحقيق د/ عبد العلى حامد ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - مكتبة الرشد – الرياض ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٩- صحيح مسلم ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى – بدون طبعة .

١٠-كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى ، تحقيق / بكر حيانى ، ط الخامسة ١٤٠١هـ - مؤسسة الرسالة.

١١-مسند أحمد ، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط ، ط الثانية – مؤسسة الرسالة .

١٢-المصنف لأبى بكر عبد الرزاق الصنعانى ، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمى ، ط الثانية ١٤٠٣هـ - المكتب الإسلامى – بيروت .

١٣- معالم التنزيل لأبى محمد الحسين البغوى – تحقيق / محمد عبد الله النمر ، ط الرابعة ١٤١٧هـ - دار طيبة .

١٤-المعجم الأوسط للطبرانى ، ط دار الحرمين ، ط ١٤١٥هـ - القاهرة .

١٥-المعجم الصغير للطبرانى ، تحقيق / محمود شكور ، ط المكتب الإسلامى – بيروت – ط الأولى .

١٦-المعجم الكبير للطبرانى ، تحقيق/ حمدى عبد المجيد السلفى ، ط ١٤٠٤هـ ، الموصل ، ط الثانية .

١٧-المنامات لابن أبى الدنيا ، تحقيق/ عبد القادر عطا ، ط الأولى ١٤١٣هـ - بيروت – لبنان .

ثانياً: أهم المصادر والمراجع العامة التى تغذى منها البحث .

١٨- الأدب وفنونه للدكتور/ محمد مندور ، ط ١٩٩٦م ، دار نهضة مصر.

١٩- أسس النقد الأدبى عند العرب ، تأليف د/ أحمد أحمد بدوى ، ط دار نهضة مصر – الفجالة – القاهرة .

٢٠- الإطار الموسيقى للشعر ملامحه وقضاياه للدكتور/ عبد العزيز نبوى ط ١٩٧٨م ، الصدر (سيسكو) – القاهرة .

٢١- الأعلام ، تأليف: خير الدين الزركلى – بدون طبعة .

٢٢- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، تحقيق/ سمير جابر ، ط الثانية ، دار الفكر – بيروت – لبنان .

٢٣- إكمال الكمال لابن ماكولا – بدون طبعة .

٢٤- البحر المديد لأبى العباس أحمد بن محمد بن المهدى بن عجيبة الفارسى ، ط الثانية ، ط ١٤٢٣هـ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٢٥- تاج العروس للزبيدى ، ط دار الهداية.

٢٦-اتجاهات وآراء فى النقد الحديث للدكتور/ محمد نايل ، ط مطبعة الرسالة.

٢٧-تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ، ط الأولى ١٤٢٢هـ – بيروت – لبنان .

٢٨-تفسير ابن كثير ، تحقيق/ حامد الطاهر ، ط الثانية ١٤٣١هـ ، دار الفجر – القاهرة .

٢٩-تفسير البيضاوى – بدون طبعة.

٣٠-تفسير التحرير والتنوير ، ط ١٩٩٧م ، دار سحنون – تونس .

٣١-تفسير الجلالين ، ط الأولى – دار الحديث – القاهرة.

٣٢-تفسير الخازن لعلاء الدين البغدادى المشهور بالخازن ،ط ١٣٩٩هـ – دار الفكر – بيروت .

٣٣-تفسير السراج المنير لشمس الدين الشربينى ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٣٤-تفسير السعدى ، تحقيق / عبد الرحمن اللويحق ، ط الأولى ١٤٢٠هـ ، مؤسسة الرسالة .

٣٥-تفسير الصنعانى ، تحقيق د/ مصطفى مسلم ، ط ١٤١٠هـ ، مكتبة الرشد – الرياض .

٣٦-تفسير الطبرى ، تحقيق/ أحمد محمد شاكر ، ط الأولى ١٤٢٠هـ ، مؤسسة الرسالة .

٣٧-تفسير العز بن عبد السلام السلمى ، تحقيق د/ عبد الله الوهبى ، ط الأولى ١٤١٦هـ – دار ابن حزم – بيروت .

٣٨-تفسير الفخر الرازى ، ط دار إحياء التراث العربى .

٣٩- تفسير القرطبى ، تحقيق/ هشام البخارى ، ط الأولى ١٤٢٣هـ ، ط دار عالم الكتب – الرياض .

٤٠- تفسير مقاتل بن سليمان الأزدى ، ط الأولى ١٤٢٤هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٤١- التفسير النفسى للأدب تأليف د/ عز الدين إسماعيل ، ط ١٩٦٣م – دار المعارف .

٤٢- الثقات لابن حبان ، تحقيق/ السيد شرف الدين أحمد ، ط١٣٩٥هـ – دار الفكر – بيروت .

٤٣- الجامع الصحيح للبخارى ، تحقيق/ محمد زهير ، ط الأولى ، ط١٤٢٢هـ – دار طوق النجاة .

٤٤- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ، تحقيق أ/ خالد عثمان ، مراجعة أ/ طه عبد الرءوف ، ط الأولى ١٤٢٤هـ – مكتبة الصفا – القاهرة .

٤٥- دراسات أدبية فى عصر صدر الإسلام والدولة الأموية ، تأليف/ الأستاذ الدكتور/ عيد قناوى ، ط الثانية ١٤٣٠هـ – مطبعة الأمل – أسيوط .

٤٦- دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه للأستاذ الدكتور/ على طلب ، ط ١٩٩٩م – مطبعة مختار – أسيوط .

٤٧-دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه ، تأليف الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى ، ط دار الطباعة المحمدية .

٤٨-ديوان الأخطل – ط دار الكتاب العربى – سوريا .

٤٩-ديوان امرئ القيس ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف – مصر .

٥٠-ديوان بشار بن برد ، تقديم وشرح/ محمد الطاهر بن عاشور – بدون طبعة .

٥١-ديوان جرير – ط الثالثة – دار المعارف – القاهرة .

٥٢-ديوان عمر بن أبى ربيعة ، ط ١٩٧٨م – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٥٣-ديوان لبيد بن ربيعة العامرى ، ط دار صادر – بيروت – لبنان .

٥٤-روح المعانى للألوسى، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت .

٥٥-الروضة الرَّيا فيمن دفن بداريا لابن عماد الدين الدمشقى ، تحقيق/ عبده الأشعث ، ط ١٤٠٨هـ – دمشق – سوريا .

٥٦-الزاهر فى معانى كلمات الناس لأبى بكر الأنبارى ، تحقيق د/ حاتم الضامن ، ط ١٤١٢هـ – مؤسسة الرسالة – بيروت .

٥٧-سنن الدارمى ، تحقيق / فواز أحمد زمرلى ، خالد العلمى ، ط الأولى ١٤٠٧هـ – دار الكتاب العربى – بيروت –لبنان .

٥٨- صفة الصفوة لابن الجوزى ، ط الثانية ١٣٩٩هـ - دار المعرفة - بيروت .

٥٩- الطبقات الكبرى لابن سعد ، ط دار صادر - بيروت .

٦٠- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته للدكتور/ صلاح فضل ، ط الأولى ١٤٠٥هـ - منشورات دار الآفاق - بيروت .

٦١- عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ، تحقيق أ/ عباس عبد الستار ، ط الأولى ١٤٠٢هـ - بيروت - لبنان .

٦٢- فى أصول النقد الأدبى وقضاياه للدكتور/ زهران محمد جبر ، ط ١٤٠٨هـ .

٦٣- فى النقد الأدبى الحديث مذاهب وقضايا للدكتور/ عبد الحميد هلال ، ط ١٤٠٢هـ - مطبعة الأمانة .

٦٤- فى النقد الأدبى للدكتور/شوقى ضيف ، ط الثامنة - دار المعارف.

٦٥- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادى - بدون طبعة .

٦٦- الكشف والبيان لأبى إسحاق النيسابورى ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - دار إحياء التراث العربى - بيروت .

٦٧- اللباب فى علوم الكتاب لأبى حفص عمر الدمشقى ، ط الأولى ١٤١٩هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٦٨- لسان العرب لابن منظور ، ط الأولى - دار صادر - بيروت .

٦٩-مختار الصحاح للرازى ، تحقيق/ محمود خاطر ، ط ١٤١٥هـ - مكتبة لبنان – بيروت .

٧٠-المذاهب النقدية بين النظرية والتطبيق ، تأليف د/ محمد السعدى فرهود ، ط ١٣٩٢هـ - دار الطباعة المحمدية – القاهرة .

٧١-المصباح المنير لأحمد بن محمد المقرى الفيومى ، ط المكتبة العلمية – بيروت – لبنان .

٧٢-مصنف ابن أبى شيبة ، تحقيق/ محمد عوامة ، ط الدار السلفية الهندية .

٧٣-معانى القرآن للنحاس ، تحقيق/ محمد على الصابوى ، ط الأولى ، ط ١٤٠٩هـ جامعة أم القرى – مكة .

٧٤-مفهوم الإبداع الفنى فى النقد العربى القديم ، تأليف أ/ مجدى توفيق ، ط ١٩٩٣م – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧٥-موسيقى الشعر العربى للدكتور/ حسنى عبد الجليل ، ط ١٩٨٩م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧٦-موسيقى الشعر للدكتور/ إبراهيم أنيس ، ط السادسة ١٩٨٨م ، مكتبة الأنجلو المصرية .

٧٧-موطأ مالك ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى ، ط دار إحياء التراث العربى – مصر .

٧٨-النقد الأدبى ومدارسه الحديثة لاستانلى هايمن ، ترجمة/ إحسان عباس ، ط١٩٦٠م ، دار الثقافة – بيروت – لبنان .